الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف المسيلة

قسم الفلسفة

العنوان :

الجدل وحركة التاريخ

عند هيجل

إعداد الطلبة :

– حريزي سامية

إشراف الأستاذ :

– محمد الشريف الطاهر

الموسم الجامعي : 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى قرة عيني ونور قلبي وأول كلمة نطق بها لساني أمي أطال الله في عمرها

إلى الذي دفع براحته وكافح من أجل أن أصل إلى ما أنا عليه أبي أدام الله عافيته

إلى أختاي نادية وسمية والأخ الغالي محمود

إلى الكتاكيت إسحاق يعقوب لميس

إلى أختاي اللتان لم تلدهما أمي نوال ومروة

إلى صديقاتي اللاتي أحبهن كثيرا "سارة، خدوجة، سلمى، فطيمة، سميحة، سارة"

إلى عائلة "قيشي"وإلى جميع الأحباب

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بفضله تتم الأعمال وتدوم الأحوال

أولا أشكر الله سبحانه على إمدادنا بالصحة والعافية

ووفقنا لإنجاز هذا العمل

الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف أحمد محمد الشريف الطاهر

والذي وضع فينا ثقته وقبل الإشراف علينا

الشكر إلى الزميل شوفي داود والذي ساعدني في إتمام العمل

الشكر إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة والطلبة بجامعة المسيلة

دفعة 2017/2016.

مـــقدمـــة

مقـدمـة:

تعـد عمليـة البحـث في الفلسـفة بوصـفها شـكلا مـن أشـكال التعبـير الإنسـاني إذا تعتـبر مسـألة مهمـة لأنهـا تشـبع فضـول الإنسـان في موضـوع معـين تعجـز بقيمـة العلـوم عـن التطـرق إليـه بالإضـافة إلى حيويتهـا مـن حيـث مواصـلة البحـث والـدعوة إلى التجديـد بحيـث يحـاول الفيلسـوف دائمـا والتطلـع والتوصل إلى كل ما هو جديد.

ومـن بـين هـذه الفلسـفات نجـد الفلسـفة الحديثـة والـتي كـان مـن أعظـم فلاسـفتها الـذين بـرزوا نجـد الفيلسـوف الألمـاني جـورج فلهلـم فريـديريش هيجـل georg wlhlem friedich hegel (1770-1831) إذا يغـير مـن أهـم فلاسـفة ألمانيـا في القـرن 18 وترجـع أهميتـه إلى الأولويـة والمكانـة الـتي آلـت إليهـا فلسـفته إذا شـكلت مصـدرا فلسـفيا وأساسـيا في العديـد مـن المـدارس الفلسـفية ولعـل مـن أبرزهـا المدرسـة الماركسـية إلا أن أهميـة هيجـل تـبرز أكثـر مـن خـلال قدرتـه علـى اسـتعاب تـاريخ الإنسـان بمراحله المختلفة وقدرته كذلك على قراءة هذا التاريخ معتمدا على منهجه الجدلي.

فهيجـل اسـتطاع أن يتجـاوز الاخطـاء في الفلسـفات الـتي كانـت سـائدة قبلـه والـذي كشـف عـن ضـعفها فيمـا يتعلـق بعمليـة التطـور سـواء في المنطـق أو التـاريخ، فـنحن عنـدما نتحـدث عـن حركـة التـاريخ عـن هيجـل لا بـد لنـا أن نتحـدث أيضـا وأن نتطـرق إلى أهـم نقطـة في فلسـفته وهـي أكثـر أهميـة وخـو الجـدل، والـذي يعتـبره مبـدأ كـل حركـة وكـل حيـاة وكـل يـتم عملـه في الواقـع، فالجـدل لـيس حكـرا علـى الظـاهر الطبيعيـة فقـط بـل يشـمل العـالم لروحـي كـالأخلاق والقـانون والسياسـة، فالجـدل يكمـن في طبيعـة الأشـياء سـواء تعلـق الأمـر بالطبيعـة أو بالإنسـان، كمـا نجـد مضـمون أي عمـل فلسـفي لا يخلـو مـن مفـاهيم وإشـكاليات رئيسـية سـاهمت في تركيـب التـاريخ الفلسـفي، أمـا موضـوع دراسـتنا الـذي هـو بعنـوان "الجـدل وحركـة التـاريخ" فسـوف يعـالج أهـم المفـاهيم الـتي بـنى هيجـل صـرح فلسـفته عليهـا وهمـا مفهـوم الجـدل والتـاريخ، ففكـر هيجـل بصـفة عامـة يسـوده الغمـوض، فهـل هـذا الغمـوض ينبـع مـن اخـتلاف وجهـات النظر في المعاني والمفاهيم الواردة حول فلسفة هيجل؟ أم الاختلاف قائم في طبيعة فلسفته نفسها؟

ولعـل الاشـكالية المحوريـة الـتي تـبرز هـي مـا المقصـود بالجـدل والتـاريخ عنـد هيجـل؟ ومـا طبيعـة حركتهمـا؟ ومـا هو الأساس الذي قسم عليه هيجل التاريخ؟

وقد اخترنا أن نتحدث ونتناول هذا الموضوع من أجل معرفة وتحليل طبيعة الجدل عند هيجل والذي جعل منه هيجل متميزا عن الجدل التقليدي بالإضافة إلى رغبتنا في معرفة التاريخ وحركته في تطور فلسفة هيجل، وكذا معرفة الكيفية التي ربط بها هيجل بين الجدل والذي يتميز بالاستمرارية وحركة التاريخ.

ولقد رأينا بأن المنهج الذي يناسب موضوعنا هو المنهج التحليلي والدياليكتيكي، فالتحليلي من أجل تحليل أفكار هيجل وفهمها وطرحها وتوثيقها للأمانة العلمية، والمنهج الدياليكتيكي من خلال تقسيم دراستنا إلى ثلاثة فصول طبقا لخطواته والمعمول به، وكذا علاقة الجدل كمنهج وموضوعي تستدعي مراعاة خطواته وتفرعاته.

وللإجابة على الاشكالية فقد قسمنا موضوع دراستنا مقدمة تحتوي تمهيد عام وصياغة للإشكالية بالإضافة إلى ثلاثة فصول من أجل محاولتنا لشل الحدود المعرفية الخاصة به، إذ جاء الفصل الأول معنون بالجدل عند هيجل وتطرقنا فيه في البداية كمبحث أول أصول الجدل عند هيجل ونتناول فيه أهم المصادر التي أثرت في جدله بداية من اللاهوت مرورا بالفلسفة وصولا عند تيار العصر، أما في المبحث الثاني فتناولنا طبيعة المنهج الجدلي وعلى أي أساس يقوم عليه المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى الجدل والمنطق عند هيجل لما لها من أهمية.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان صيرورة التاريخ عند هيجل وانقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث إذ جاء المبحث الأول ليتناول مفهوم التاريخ وأنواعه عند هيجل، ونتناول فيه ما يقصده هيجل بالتاريخ والأنواع الثلاث لكتابة هذا التاريخ، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان العوامل المحركة للتاريخ بما أنه التاريخ في تطور فلا بد أن تكون هناك عوامل مساعدة في هذا التطور، أما المبحث الثالث والأخير جاء ليدرس دور العقل والحرية والروح في التاريخ إذا مسار الروح في التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية.

أما الفصل الأخير فجاء بعنوان حركة الجدل في التاريخ وانقسم بدوره إلى مبحثين نتناول في المبحث الأول الجدل ومراحل التاريخ من البداية إلى النهاية والذي ينقسم لثلاثة مراحل مرحلة تمثل العالم الشرقي ومرحلة تمثل اليونان والرومان ومرحلة تمثل الأمة الجرمانية، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى الجدل وصيرورة التاريخ في ميزان التقدم وتم ذكر أهم النقاط الأساسية نفذ فيها هيجل وكذا أهم من تأثر به.

أمـا أهـم المصـادر الـتي تم الاعتمـاد عليهـا فهـي مصـادر هيجـل أخمهـا "محاضـرات في فلسـفة التـاريخ" الجـزء الأول والثـاني، أمـا المراجـع مختلفـة أهمهـا "إمـام عبـد الفتـاح إمـام المـنهج الجـدلي عنـد هيجـل" دون أن ننسى معجم مصطلحات هيجل لميخائيل أنوورد.

ورغـم كـل هـذا إلا أنـه كانـت هنـاك صـعوبات جمـة واجهتنـا أهمهـا مـا يتعلـق بلغـة وخطـاب هيجـل ومفاهيمـه الصـعبة مـن أجـل فـك رموزهـا، وكـذا ازدواجيـة الموضـوع بـين الجـدل وحركـة التـاريخ ممـا صـعب علينـا الكثـير المهمـة في الـتحكم في الموضـوع، زيـادة علـى ذلـك التـواء مقاصـد هيجـل وهروبـه إل منـاطق يصـعب اكتشـافها، بالإضـافة إلى كثـرة المـادة العلميـة وتنوعهـا، ممـا أدى إلى عـدم معرفـة التعامـل بهـا، إلا أنها تعتبر من صميم البحث الأكاديمي.

الفصل الأول

الفصل الأول: الجدل عند هيجل

تمهيد

لقد شكلت فلسفة هيجل ركنا أساسيا من أركان الفلسفة الغربية الحديثة، إذ تركت فلسفته أثرا عميقا في الفكر الغربي المعاصر، إذا أن أعظم إنجاز خلفه هيجل هو الجدل، ويعتبر النسق العام لفلسفته كما يعتبر العصب الرئيسي له فالجدل عنده يختلف عما كان عليه عند الفلسفات السابقة، ومنه نتساءل:

ماهي الأصول التي تأثر بها هيجل في الجدل؟

وماذا يقصد بمنهجه الجدلي؟

وما علاقة الجدل عنده بالمنطق؟

المبحث الأول: أصول الجدل عند هيجل

لقد كانت هناك عدة مصادر لها من الأثر البالغ في فكر هيجل بصفة عامة وعلى تكوين جدله بصفة خاصة، وعلى أفكاره الفلسفية المختلفة والتي من خلالها يمكننا القول بأن هيجل تأثر بالتراث البشري قديمه وحديثه على حد سواء، ومن المصادر التي كان لها أثر في تكوين منهجه الجدلي فهي كالآتي:

أولا: اللاهوت*

لقد كان عصر هيجل عصر الإيمان الديني العميق فلا بد لأي فيلسوف أن يعالج موضوع الدين وأن يخصص له مساحة في فكره، إذ هنا نجد الفيلسوف الألماني هيجل نفسه اهتم بالدين منذ بداية حياته، حيث درس في كلية اللاهوت البروتستانتية، إذ كانت رغبته في أن يكون قسيسا حيث اهتم بالدين في سن مبكرة، فلقد كان هيجل في عهد الشباب يرى في الدين حلا للمشكلة التي شغلت ذهنه وهي مشكلة التوفيق بين الأضداد** بحيث أن هيجل بدأ معالجة فكرة صراع الأضداد والكشف عن الوحدة الكامنة وراءها في مقالتين "روح الديانة المسيحية ومصيرها، والأخرى مجمل الذهب..." [1]

كما نجد هيجل قد أعجب باليونان الامر الذي أدى إلى تأثيره على نظرته للمسيحية في شبابه، وقد شكلت فكرته على اليونان جانبا كبيرا من مفهومه عن الديانة الشعبية[2]، ففي رأي هيجل

---

* thelogu مشتقة من الكلمة اليونانية theos والتي تعني ... وكلمة logos والتي تعني العقل...الخ، فالكلمة تعني دراسة الله أو الموضوعات الإلهية واعتبره هيجل تفكير منرويا في الحقائق التي يجسدها الدين (ميخائيل أنوورد: معجم مصطلحات هيجل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص472)

** يستخدم هيجل كثيرا اسم مفعول (مضاد، الأضداد) والاسم (التضاد)، كما يستخدم أيضا الكلمة التي صيغة في ق18 من جذور يونانية وهي (التضاد، التضاد القطبي)، ويذهب هيجل إلى الاعتماد المتبادل التصوري بين الأضداد، كما يرى في حالة بعض الأضداد ويهدف ذلك حقيقة خاصة على الموجب والسالب، بل أن كل ضد هو هذا الآخر (ميخائيل أنوورد: معجم مصطلحات هيجل، المرجع نفسه، ص ص387-389)

[1] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2007، ص ص32، 33.

[2] محمد عثمان الخشت: الأديان تأويل نقدي لفلسفة الدين عند هيجل، دار غريب، القاهرة، 1995، ص19.

أن الديانة اليونانية لم تكن ديانة كلية عالمية مثل الديانة المسيحية، لكنها كانت ترتبط ارتباط ذاتيا بشعب معين، دون أن تفرض عقائد أو معتقدات أو طقوس، فالدين في نظره يجب أن يكون كما كان عند اليونانيين القدماء قوة حية تنمو في الحياة الواقعية للعصر.

حيث كتب في عدة صفحات تعرف باسم "شذرة تو بنجن" "لا يجوز تعلم الدين من الكتب ولا يقتصر على العقائد الجامدة، أي لا يجب أن يكون الدين لاهوتيا بل الأحرى أن يكون قوة حية تزدهر في الحياة الواقعية للشعب أي في عاداته وتقاليده وأعماله واحتفالاته... يجب أن يكون شعبيا عاما لا كهنوتيا خاص (بطائفة معينة) لا يجب أن يكون الدين أخرويا بل دنيويا انسانيا، وعليه أن يمجد الفرح والحياة الأرضية لا أن يمجد الألم والعذاب والحياة الاخرى كما هو الحال في المسيحية"[1]، ما يتبين هو أنه علينا أن نقبل هذه الديانة ببساطة وعلى نحو طبيعي فهي لا تحتاج إلى فعل خاص، فهو لا ينظر إلى الآلهة على أنها متعالية أو مفارقة بل ينظر إليها على أنها آلهة كريمة وخيرة تسكن المينة وتحميها، ويقر بأن هذه الديانة ترتبط ارتباطا وثيقا بالحرية السياسية عند اليونان وبفضائلهم وجمال الفن عندهم وبانسجام حياتهم وجديتها.

وانطلاقا من هذا يميز هيجل بين نوعين من الدين:

الدين الموضوعي وهو الذي يهتم بالأمور الظاهرية، وهذا النمط في اعتقاد هيجل يعتبر مفروضا على الإنسان من الخارج، وبالتالي فهو لا ينتمي إليه بإرادة حرة لأنه يتناقض مع عقله وإرادته[2]، حيث رأي الدين الموضوعي هو اللاهوت المجرد... من حيث نسق من الحقائق، فاللاهوت مجرد ...حيث أي ألفاظه جامدة محفوظة[3]، أي أن هذا النوع لا يجب أن يكون له مجال في العقل المحدود والذي يؤدي إلى إرغامه على السير في طريق ضيق والمليئة بالتصورات الوهمية، إذ يرى أنه يجب

[1] محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988، ص 118.

[2] يوسف حامد الشين: مبادئ فلسفة هيجل دراسة تحليلية عن الإنسانية واللاهوتية في كتابات الشباب، منشورات جامعة قار، بنغازي، ط1، 1994، ص64.

[3] محمود رجب: الإغتراب سيرة مصطلح، مرجع سابق، ص118.

أن يخلو من الصور الحسية، كما بين أن العقيدة النابعة من القلب تتناقض مع المعرفة الفاترة والتلاعب بالألفاظ.

أما النوع الثاني فهو **الدين الذاتي**، حيث أنه ينبع من قلب الإنسان نفسه على هيئة إحساس بالمحبة التي تعانق القلوب، وتسعى إلى توحيد جميع البشر في إطار إنساني[1]، أي أنه ينسب الدين إلى الإنسان لأن قلبه يشعر بأعمال الله وأنه يرى الله في طبيعته وفي قدر الناس، ويعتقد هيجل أنه وحده الذي يستحق اسم الدين لأنه متعلق بالقلب ومتصل بالعواطف والمشاعر ويتحول إلى أفعال وأعمال وهو عكس الدين الموضوعي.

وعندما يتكلم هيجل عن الدين فهو يقصد الدين الذاتي أي دين الشعب حيث تكون مهنته الرئيسية هي العمل على رفع روح الشعب والسمو بها[2]، فالديانة الذاتية "قوامها العمل وتغيير الإرادة وتجديد القلب لا مجرد الإيمان ببعض الحقائق النظرية أو التمسك بعلاقة مجردة مع الحقيقة الإلهية أو المناداة ببعض العقائد الخالصة"[3].

ويعود هيجل إلى موضوع اللاهوت والدين إذ يوضح أنه إذا كان اللاهوت شأن الفهم والذاكرة، وإذا كان شأن القلب فلا بد لكليهما من قوى واستعدادات نفسية مختلفة، وهكذا فإن إيمان العقل العملي بالله وخلود النفس هو النواة التي يولد منها الدين، فقد أعاد هيجل الدين إلى أصله الفلسفي وأعطاه الدين الذاتي الأهمية يؤدي إلى المساواة بين كل الأديان[4]، حيث يرى هيجل أن مشكلة المسيحية قد جاءت نتيجة اتخاذها كدين موضوعي في الوقت الذي هو في الواقع أسسها المسيح عقيدة ذاتية، فالمسيحية كما قدمها المسيح لأول مرة كانت عقيدة الحرية، إذ أن المسيح نفسه حاول تحرير الإنسان من عقيدة قطعية كما فتح الفكر الإنساني على الطبيعة وصور العقل من المعابد والشرائع الميتة حتى يتمكن من تأمل الله في طبيعته.[5]

---

[1] يوسف حامد الشين: مبادئ فلسفة هيجل دراسة تحليلية عن الإنسانية واللاهوتية في كتابات الشباب، مرجع سابق، ص 69.

[2] محمود رجب: الإغتراب سيرة مصطلح، مرجع سابق، ص ص118، 119.

[3] زكريا ابراهيم: هيجل أو المثالية المطلقة، مكتبة مصر، القاهرة، ص39

[4] المطران أنطوان حميد موراني: هيجل كتابات الشباب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص 27.

[5] يوسف حامد الشين: مبادئ فلسفة هيجل دراسة تحليلية عن الإنسانية واللاهوتية في كتابات الشباب مرجع سابق، ص64.

ويقـول هيجـل: "إن ديننـا –يقصـد بالمسـيحية- يريـد تعلـيم النـاس أن يكونـوا مـن مـواطني السـماء فيوجهـون أبصـارهم دائمـا إلى الأعلـى وهـذا السـبب في أن العواطـف الإنسـانية تصـبح بالنسـبة لهـم غريبـة"[1]، أي أن هيجـل يحمـل رجـال الكنيسـة مسـؤولية جعـل المسـيحية وتحويلهـا إلى مجـرد لاهـوت عقـيم ودين يعجـز القيـام بـأي دور فعـال اجتمـاعي في الحيـاة ففـي رأيـه المسـيحية غرسـت في الإنسـان أنـه مـواطن في السماء وجعلته يشعر أنه غريب عن الأرض التي يحيا فيها.

كمـا نجـد هيجـل ينتقـد أنصـار الديانـة الوضـعية وهـي في رأي هيجـل كـل مـا هـو تـاريخي وضـعي بمعـنى أنـه لـيس عقليـا خالصـا، فالـدين يكـون وضـعيا عنـدما يضـع معتقـدات وطقـوس وقواعـد يقبلهـا بسـبب أن سـلطة إلهيـة أو أرضـية أمـرت بهـا، كمـا نجـد هيجـل ونتيجـة للتـأثير المباشـر لكتـاب كـانط عـن الـدين، ألـف كتابـه "حيـاة يسـوع في العـدم **1795م**"، وحسـب –يسـوع هيجـل- فـإن الاعتقـاد بالعقـل وطاعـه وحـدهما اللـذين يمنحـان الإنسـان الإسـلام والعظمـة والحقيقـة، لأن الإنسـان لا يحقـق مصـيره السامي إلا بإيمانه بالعقل[2].

إن مهمـة مسـيح علـى الأرض تكمـن في جعـل البشـر أكثـر نـبلا وأن يـوقظ في روحهـم وعـي كـرامتهم ويجعلهـم يعرفـون مـا الـذي يجـب أن يخضـعوا لـه بحريـة، ويـوجز ذلـك بالصـيغة الكانطيـة الشـهيرة "تصـرفوا بحسـب مبـدأ أساسـي علـى أن يكـون بإمكـانكم أن ترغبـوا في أن يطبـق علـيكم أيضـا بصـفته قانونـا عامـا للبشـر"[3]، مـا نـراه أن الهـدف الـذي اتبعـه هيجـل في حيـاة يسـوع هـو مـا أوحـى بـه كـانط وكـذا الكشف عن معنى في الكتاب المقدس فيكون منسجما مع أقدس تعاليم العقل.

كمـا نجـد هيجـل قـد وجـد في شـخص المسـيح خـير تعبـير عـن اتحـاد المتنـاهي واللامتنـاهي، أو في اتحـاد الحساسـية والعقـل، حيـث يقـول هيجـل: "أت المسـيح حينمـا أعلـن أن ملكـوت الله لا يتحقـق علـى الأرض إلا بجهـود أولئـك الـذين يطبقـون تعـاليم العقـل العملـي، فإنـه قـدر بـذلك للإنسـان كرامتـه معلنـا

[1] محمود رجب: الإغتراب سيرة مصطلح، مرجع سابق، ص119

[2] هيجل: حياة يسوع، تر: جرجي يعقوب، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ص3400.

[3] المصدر نفسه، ص36.

حريـة البشـر في العمـل علـى تحقيـق مصـيرها بنفسـها"[1]، ونجـد هيجـل يقـدم لنـا حيـاة يسـوع مـن دون معجـزات فالمسـيحية هـي الـدافع الأساسـي، حيـث أنـه جمـع بـين المتناقضـات، حيـث أن الإنسـان والإلـه اجتمعا بمحبة رغم اختلافها في شخص المسيح.

ويـرى هيجـل أن اتبـاع المسـيح قـد حـاولوا دعوتـه "آمنـوا بالعقـل" إلى دعـوة تقـول آمنـوا بالمسـيح، أي نقـل الصـفات السـامية الجميلـة في الإنسـان كالعقـل والحريـة وغيرهمـا إلى فـرد آخـر هـو المسـيح لقـد ألهـوا سـيدهم وحولـوه إلى شـرط للخـلاص[2]، وفي شـذرة **1796** نجـد أن الأنـا هـذا تصـير لا أنـا، والإنسـان يتحـول إلى شـيء والله يتحـول موضـوع والخـالق إلى مخلـوق والـذات إلى موضـوع فضـلا عـن أن تشـبيه الله يظهـر في هـذا الإطـار الميتـافيزيقي للدلالـة علـى أن الله إنمـا هـو تصـور مـن إبـداع الإنسـان وصـورة مـن اخـتراع العصـر[3]، حيـث يقـول هيجـل: "خـارج محـاولات قديمـة بقـي محفوظـا لأيامنـا بشـكل خـاص أن يطالـب نظريـا علـى الأقـل بـالكنوز الـتي بيعـت بـأبخس الأثمـان إلى السـماء كملـك للبشـر، لكـن أي عصـر تكـون لـه القـوة ليصـبح هـذا الحـق معمـولا بـه وليمتلكـه"[4]، كمـا يعـالج هيجـل أضـداد مثـل التنـاهي واللامتنـاهي الله والإنسـان الـذات والموضـوع والـتي يقـر بـأن الحـر هـو "الحيـاة" توحيـد الوحـدة واللاوحـدة أو المركـب أو الـنقص فـالله هـو الحيـاة الـتي يشـارك فيهـا النـاس بوصـفهم موجـودات حيـة يرتفعـون إليهـا في الـدين، ولكـن للفكـر النظـري التصـوري أن يلعـب دورا تمهيـديا فحسـب، إذ يقـر بأنـه لا بـد للفلسـفة أن تتوقف عندما يبدأ الدين، حيث يعتقد "أن الفلسفة تشرح ذاتها فقط عندما تشرح الدين".

فموضـوعات الفلسـفة هـي نفسـها بصـفة عامـة موضـوعات الـدين، فالموضـوع في كليهمـا هـو الحقيقـة، وبـذلك المعـنى التسـامي يكـون فيـه الله والله وحـده هـو الحقيقـة، حيـث يقـول: "إن التفكـير الفلسـفي يقتـل الحيـاة وإنـه يمزقنـا إلى أضـداد في الوقـت الـذي نريـد فيـه أن نفهـم الحيـاة ككـل كوحـدة حيـث تتصـارع في جوفهـا الأضـداد..."[5]، كمـا يقـول هيجـل: "يشـترك الـدين والفلسـفة في موضـوع مـا هـو حـق

---

[1] زكريا ابراهيم: هيجل أو المثالية المطلقة، مصدر سابق، ص43.

[2] محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، مرجع سابق، ص127

[3] المرجع نفسه، ص137.

[4] المطران أنطوان حميد حموراني: هيجل كتابات الشباب، مرجع سابق، ص ص70، 71

[5] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مج1، تر: إمام عبد الفتاح إمام،، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2007، ص45.

بذاتـه ولذاتـه"[1]، فهيجـل لم يـرفض الـدين والعقائـد والمعجـزات، بـل حـول مضـمون الـدين إلى فكـر فتحـول الله إلى مطلـق والـوحي إلى معرفـة مطلقـة والمسـيح إلى توسـط، و.... إلى جـدل والحـب إلى ذاتيـة والشـرعية إلى قـانون مجـرد[2]، ومـا يقصـده هيجـل هـو حـل التعـارض بـين الـدين والفلسـفة ويبـين أن الـدين ينتهـي حـتى إلى الفلسـفة، وأن الفلسـفة تـؤدي حتمـا بالضـرورة إلى الـدين فكلاهمـا حاجـة شـعورية، وكلاهمـا متحـد في الموضوع وهو الله فالله مضمون الدين والفلسفة على السواء.

أمـا المصـدر الثـاني مـن مصـادر الجـدل عنـد هيجـل هـو الفلسـفة فهـي عنـده كـل متصـل تدفعـه ضرورة داخلية، وهي تحمل في جوفها مبادئ الفلسفات السابقة كلها,

1/ الفلسفة اليونانية:

نجـد أن هيجـل قـد تـأثر بالفلسـفة اليونانيـة وأعجـب بحيـاتهم فهـو القائـل "إن اسـم اليونـان يثـير النشـوة في قلـوب المثقفـين مـن أهـل أوربـا ولا سـيما في قلوبنـا نحـن الألمـان..."[3]، إذا قيـل أنـه أخـذ فكـرة الجـدل عـن كـل مـن فلاسـفة اليونـان وكـانط، ولـذا سـوف نـرى كيـف تـأثر مـنهج هيجـل بالجـدل عنـد الفلاسـفة السـابقين، وأول مـن تـأثر بممـر هيجـل هـو "زينـون الإيلـي Zénon o'elèe" حـوالي (**490–430 ق.م**) إذ كـان ينظـر إليـه علـى أنـه هـو المؤسـس للجـدل، فطريقـة زينـون طريقـة جدليـة حيـث أنـه يقـوم بمحاولـة معارضـيه ابتـداء مـن قضـاياهم هـم أنفسـهم مـن حمايـاهم بإجبـارهم علـى أن يجيبـوا "بـنعم" أو "لا" علـى نفسـه السـؤال، أي أن يأخـذوا موقفـا وعكـس أي أن يقعـوا في التنـاقض[4]، أي أنـه طريقته عبارة عن نقاش وتسليم أولي بهجوم الخصم ثم إثبات نفيه أي نفي الهجوم وتفكيكه.

---

[1] هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص147.

[2] حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1990، ص148.

[3] هيجل: تاريخ الفلسفة، مج1، مصدر سابق، ص37.

[4] عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، دار السلاسل، الكويت، 1993، ص65.

وأول ما أعجب به هيجل في جدله هو أن كل سلب تعيين فهو يقول: "إني لا أبد شيئا مميزا عند زينون وهو الوعي بأن سلب التعيين تعيين، بمعنى أن الإنسان حين ينكر بتعييننا ما بأن هذا الابتكار أو هذا السلب هو نفسه تعين جديد..."[1].

أما النقطة الثانية وهي التاي قالوا بين فكرتين متناقضتين حيث يبين زينون أن القول بوجود الكثرة يؤدي إلى متناقضات أكثر مما يؤدي إليه القول بوحدة الوجود، حيث يقول سقراط في محاورة بارمنيدس لأفلاطون: "لقد أظهر بارمنيدس في قضيته أن الكل واحد، أما زينون فقد أظهر على العكس أن الكثرة لا يمكن أن توجد"[2].

أما الفكرة الثالثة التي أعجب بها هيجل فهي أن الجدل عند زينون أيضا على الحركة وسبب ذلك أن الجدل هو نفسه حركة وأن الحركة ليست شيئا آخر غير الجدل، فالشيء لا يتحرك إلا لأنه يحوي جدله في جوفه ذلك لأن الحركة هي الصيرورة إلى الآخر[3]، كما نجد جدل زينون ناقش فكرة الزمان والمكان وأظهر فيهما تناقض، أما الأثر الثاني في فلسفة هيجل هو هيراقليطس Héraclites (**596–480 ق.م**) حيث يقول هيجل: "لن تجد عبارة قالها هيراقليطس إلا واحتضنتها في منطقي"[4]، إذا ارتبط اسم هيراقليطس ارتباطا وثيقا في الأثر الفلسفي الغربي بموضوعات التغير والتناقض، حتى أن هناك في أغلب الأحيان ميلاد إلى تأكيده الخاص الذي يضعه على الوحدة في كل الأشياء بمعنى متميز ومتناقض.

فهو من الأوائل الذين أعلنوا أن الكينونة والعدم يتماهيان في الصيرورة*، وبأن كل شيء متحرك ومتغير من أوائل من اكتشفوا الطابع الديناميكي الفاعل للأضداد وصراعها، فالصراع ما هو إلا

---

[1] هيجل: تاريخ الفلسفة، مج3، مصدر سابق، ص264.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص45.

[4] المرجع نفسه، ص47.

* والصيرورة هي الانتقال من حالة إلى أخرى أو من زمان إلى زمان آخر، وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونهما انتقالا من حالة لأخرى، كانتقال الوجود من القوة إلى الفعل والشيء المتصف بالصيرورة نقيض الشيء المتصف بالثبات والسكون (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص7)

استجابة لوحدة الأضداد في جوهره جوهر الوحدة الذي هو التوافق ووحدة الوجود[1]، فهيراقليطس يمثل فلسفة التغير فهي تعلن أن الاستمرار ما هو إلا مصطلح نسبي، وهذا ما أكده أفلاطون على لسان سقراط في محاورة "تيتاتوس" عن فلسفة التغير لهراقليطس "...وكذلك بالنسبة لكل شيء إذ لا يوجد شيء واحد محدد أو ذو صفة في أي حالة من الأحوال وكل ما نصفه بالوجود إنما هو في صيرورة وحركة وامتزاج متبادل، ووصفه بالثبات هو وصف مضلل إذ لا شيء موجود بل كل شيء يصير..."[2]، ما يتبين أن هيراقليطس اكتشف الترتيب والانتظام والثبات الذي يبرز في كل صيرورة، إن هذا الثبات يوفر إمكانية لا نهائية لتغير متصل وكل هذا محكوم بقوة قانون ثابت هو اللوغوس ولقد تردد هذا المصطلح في شذرات هيراقليطس الفلسفية، حيث يقول: "إن اللوغوس أو القانون الكلي للكون كما هو وارد هنا مشروح، غير أن الناس عاجزون عن فهمه سواء قبل أن يسمعوا به مرة على الرغم من أن الأشياء جميعها تظهر إلى حين الوجود بمقتضى القانون"[3]

كما لا يجب أن نغفل على تأثر هيجل أيضا بجورجياس Gorgias ولد عام 480 ق.م وتوفي في نحو مئة حول.، فهيجل يعجب بجورجياس لأنه درسه الجدل كما هو موجز في الفكر الخالص، ويرى هيجل أن أساس الجدل عنده يكمن في القسم الثالث من جدله حيث يقول: "إذا أمكن إدراك شيء فلا يمكن نقله إلى الغير الأشياء الموجودة هي المحسوسات، فموضوعات البصر تدرك بالبصر وموضوعات السمع تدرك بالسمع ولا تبادل بينهما فلا يمكن لهذه الإحساسات أن يتصل بعضها ببعضها الآخر ثم إن الكلام هو طريق الإتصال بين الناس..."[4]

حيث يقسم جورجياس جدله إلى ثلاثة وهي:

القسم الأول: الوجود إما أن يكون اللاوجود أو الوجود أو كليهما:

---

[1] رنيو كاريس كيسديس: جذور المادية الديالكتية –هيراقليطس–، تر: حاتم سلمان، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1987، ص 212.

[2] أفلاطون: تيتاتوس أو عن العلم، تر: أميرة حلمي مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص48.

[3] نقلا عن: عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، المركزية الغربية إشكالية السكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 169.

[4] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص52.

أ–و هو ليس اللاوجود لأن هذا محال

ب–ولا الوجـود فإمـا أنـه خالـد وهنـا سـيكون مـن لا بدايـة لـه، أي لا متناهيـا في الزمـان وغـير محـدود في المكان، ولكن اللامحدود لا مكان له، وما لا مكان له ليس موجودا إذن فهو غير موجود[1]

القسـم الثـاني: أساسـها أن يكـون هنـاك تطـابق بـين الفكـر والوجـود ولكـن الواقـع أنـه لـيس هنـاك تطـابق بـين الفكـر والوجـود بـدليل وجـود تصـورات في الفكـر حـول كائنـات خرافيـة، إذن فـافكر يـدرك اللاوجـود، فهو إذن لا يدرك الوجود.

القسـم الثالـث: فهـو وسـيلة نقـل الفكـر هـي الألفـاظ، ولهـذا فـإن المعرفـة ستضـطر إلى البقـاء في إطـار الألفـاظ هـذا بينمـا أن الالفـاظ ليسـت هـي الأشـياء، فمـا سـينتقل لـيس هـو معرفـة الوجـود بـل مجـرد ألفـاظ أي مجرد أصوات وهي ليست الوجود[2]

كمـا يـرى هيجـل أن جورجيـاس درس المقـولات الخالصـة ثم بـين أنهـا إذا درسـت في نقائهـا الخـالص تـؤدي إلى السـلب، فـالوجود يصـل بنـا إلى العـدم والواحـد ينتقـل إلى الكثـرة أو الكثـير، فينتقـل الكثـير بـدوره إلى الواحـد إلا أنـه انتهـى إلى إنكـار هـذه المقـولات إذا فصـل بعضـهما عـن بعـض وقطـع مـا بينهـا مـن ارتبـاط ضـروري فإنهـا لـن تكـون حقيقـة، وبمعـنى آخـر إثبـات تطبيـق مبـدأ الفصـل علـى المقـولات يفقدها حقيقتها ويظهرها في عناد متبادل.

أم سـقراط Socrate (**470–399 ق.م**) فقـد أعجـب هيجـل بمنهجـه حيـث أقـر علـى سـقراط في قولـه: "في شـخص سـقراط .... ذاتيـة التفكـير واعيـة علـى نحـو أكثـر تعيينـا وأكثـر عمقـا، ولكـن سـقراط لم ينبـت مثـل الفطـر وإنمـا هـو علـى حـال اسـتمرارية وثيقـة مـع عصـره إنـه وجـه رئيسـي في تـاريخ الفلسـفة أكثـر وجـوه فلسـفة العصـور القديمـة إثـارة للاهتمـام ولكنـه أكثـر ذلـك يعـد أنـه شخصـية في التـاريخ العـالمي"[3]، إذ يتميـز مـنهج سـقراط بـثلاث خطـوات وهـي الأولى إدراك الإنسـان لنفسـه، أي علـى الإنسـان

[1] عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، مرجع سابق، ص99

[2] المرجع نفسه، ص100

[3] نقلا عن: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006، ص366.

أن يبحث في ذاته عن غاية لنفسه وللمحيط الخارجي أيضا، وهذه النقطة أعجب بها هيجل، أما الخطوة الثانية فهي هنا يبدا سقراط بطرح الأسئلة وإدارة الحوار، والنتيجة التي يصل إليها هي توضيح جهل الآخرين لما كان يظنون أنهم على دراية وعلى وضوح أفكارهم ويظهر فيها سقراط متهكما ويظهر سخريته للآخرين[1]

أما ثالث خطوة فهي تقوم على أساس أنه إذا كان الإنسان ليس لديه علم صحيح فإن في جوفه حقائق يستطيع أن يستخلصها من داخل نفسه ومن نفوس الآخرين وهي ما سمي بمرحلة التوليد، حيث يقول: "فالمنهج السقراطي يرتكز على اعتقاد سقراط أن الأطفال يولدون وفي أنفسهم جميع ألوان المعارف"[2]

ويمكن تلخيص رأي هيجل في المنهج السقراطي كالآتي:

أ/ يرى أن سقراط عبر عن الجدل في صورته الذاتية بصفة خاصة، وهي الصورة التي تبدو في التهكم، فقد اعتاد أن يمارس جدله ضد المفاهيم والتصورات الشائعة حيث كان سقراط سخر من خصومه بطريقة حوارية.

ب/ أن سقراط كان ضد السفسطائية بحيث كان جريئا في مناقشاته يلغي الأسئلة التي يريدها بصدق ومهارة وينتهي بمحاوره إلى عكس البداية التي كان يؤكد صحتها.

والنتيجة التي يصل إليها منهج سقراط أنه يطور الكلي من حالة عينية معينة ويظهر الفكرة الشاملة الكمنة داخل كل فرد ومنها أنها حقائق واضحة ومنها أنها اهتمامه بالكلي الذي نصل إليه عن طريق الفكر وحده، ولذلك كان هذا المنهج نفسه الذي يشكل معرفة كل إنسان بالكلي[3]

أما أفلاطون Platon (**427-347 ق.م**) إذ يرى أفلاطون أن الجدل خطوة ضرورية في نظرية المعرفة وأن المعرفة الجدلية هي المعرفة الفلسفية بمعناها الكامل، حيث أن المظهر الأول للجدل

---

[1] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص141.

[2] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص55

[3] برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار المصرية العامة للكتاب، 1977، ص178.

مقـترن بـالمعنى العميـق للمعرفـة والعلـم، وهـذا مـا طرحـه أفلاطـون أيضـا في أمثولـة الكهـف الـتي تطـرح الفروقـات الرئيسـية بـين المعرفـة اليقينيـة (عـالم الجـواهر) والمعرفـة الظنيـة (عـالم الحـواس) الـذي لا يتـاح إلا عـن طريق الجدل، الذي يمثل جدل النفس بين الصعود والهبوط[1]

كلنـا نجـد قطيعـة بـين المعرفـة الحقيقيـة الخالصـة الـتي تقتصـر علـى الجـواهر والماهيـات والمعرفـة الظنيـة الـتي تمثـل بدايـة الـوعي بالحقـائق الثابتـة الموجـودة في العـالم المحسـوس، هـذه القطيعـة يجسـدها نوعـان مـن الجـدل، الجـدل الصـاعد الـذي يتجـه دومـا نحـو العـالم المعقـول، والـذي يعتمـد علـى القسـمة والتركيـب بغـرض الإنتقـال مـن الكثـرة إلى الوحـدة وينتقـل أيضـا مـن الجزئيـات إلى الكلـي الـذي هـو أصـلها وأساسـها، أمـا الثـاني فهـو الجـدل النـازل والـذي يتجـه إلى عـالم الحسـيات ويعتمـد هـو الآخـر علـى الاسـتنباط العقلـي يمكننـا مـن التمييـز بـين الصـور[2]، إذا يعـرف أفلاطـون في كتـاب الجمهوريـة الجـدل علـى أنـه العلـم الكلـي بالمبـادئ الأولى والأمـور الثانيـة يصـل إليـه العقـل بعـد العلـوم الجزئيـة، وينـزل منـه إلى هـذه العلـوم يـربط مبادئها إلى المحسوسات[3]

أما الأفكار الأفلاطونية التي أثرت في فكر هيجل:

1-اهتمام أفلاطون بالكليات واعتبره الكلي أو الفكر هو الأساس الحقيقي وراء هذا العالم

2-يفـرق أفلاطـون بـين المعرفـة الحسـية والمعرفـة العقليـة ثم تقسـيمه ثانيـا العقـل إلى نـوعين همـا: قـوة الفهـم والعقل الخالص

3-الجـدل عنـد أفلاطـون هـو المـنهج الـذي بـه ترتفـع الـنفس ن المحسـوس إلى المعقـول دون أن تسـتخدم شيئا محسوسا وإنما انتقال من فكرة إلى فكرة بوساطة فكرة.

---

[1] نيوكاريس كسيديس: جذور المادية الديالكتيكية هيراقليطس، مرجع سابق، ص 301.

[2] أفلاطون: الجمهورية، تق: جيلالي اليابس، سلسلة الأنيس، موفم للنشر، 1990، ص ص304، 428.

[3] رينيه سرو: هيجل والهيجلية، تر: أدونس عكره، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1993، ص18.

4-درس أفلاطون الكثير من المقولات كالوجود واللاوجود والواحد والكثير والكل تظهر منطقية شاملة... وهو يشير إلى أن هذه النظرة المنطقية في أكثر من مرة إذا يغيرها المنهج الحقيقي للفلسفة والطرف الصحيح لمعرفة الحقيقة والمقياس الذي يفرق بين الفلاسفة والسوفسطائيين.

5-عند أفلاطون الحكم بالسلب لا يعني أن محموله لا شيء أو عدم خالص، وإنما يعني أن المحمول هنا هو يعبر عن حكم أصيل، فالحكم بأن (أ ليست ب) يعني أن "أ" هي شيء آخر غير "ب" أي أن "ب" صفة حقيقية تستثنيها من "أ" فنفي "ب" لا يعني عدمه وإنما سمة حقيقية تمتلكها "أ" من خلال حذفها "ب"

6-كما يعجب هيجل بربط أفلاطون بين الفلسفة والحكم.

فأفلاطون كما يرى هيجل: "يتقدم الآن ليضم الجدل الموضوعي عند هيراقليطس إلى الجدل الايلي الذي كان محاولة خارجية للذات تحاول فيها إظهار التناقض ثم هو فضلا عن ذلك قد عبر عن الفكر الأخلاقي عند سقراط وحوله من فكر ذاتي إلى فكر موضوعي هو المثال الذي يجمع بين الفكر الكلي والموضوعي، ومن هنا نرى في وضوح أن الفلسفات السابقة على افلاطون لم تختلف بنقد أفلاطون لها، إنما نراه يمتصها في فلسفته"[1].

أما أرسطو aristote (**384-322 ق.م**) فكانت هناك أربع أفكار أرسطية كان لها الأثر في الجدل الهيجلي، حيث يرى هيجل في أرسطو أنه مبدع المنطق وأن نتاجه الفلسفي موثوقا به في جميع العصور حيث يقول هيجل: "...كما أنه في التاريخ الطبيعي لا بد أن نصف طبيعة الحيوانات... فكذلك فعل أرسطو حين وصف طبيعة تلك الصور التي يشملها الفكر المتناهي لأنه معرفة ووعي بالنشاط المجرد للفهم الخالص"[2]، أول ما تأثر بهيجل في فكر أرسطو وهي فكرة أساسية في مذهبه هي فكرة المادة والصورة فهي الأصل فسي فكرة الجوهر وفكرة الجوهر هي الأساس فيه علم ما بعد الطبيعة ثم في علم الطبيعة[3].

---

[1] هيجل: تاريخ الفلسفة، مج1، مصدر سابق، ص401.

[2] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص65.

[3] محمد رجب: أرسطو عبقري الفكر اليوناني، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ص30.

حيث يرى أرسطو أن المادة والصورة متلازمتان بمعنى لا يوجد أحدهما دون الأخرى فالصورة عند أرسطو هي الجانب الكلي من الشيء وهي أيضا غايته وهدفه، ضف إلى ذلك إعجاب هيجل بفكرة القوة والفعل والذي يقول عنها هيجل: "إن أروع ما يوجد عند أرسطو هو توحيده بين القوة والفعل"[1]، وظهر هذه الفكرة عند هيجل باسم الصمتي والصريخ أو ما هو في ذاته وما هو في ذاته ولذاته.

ويرى أرسطو أن المادة الفوضى potentialityo وأن الصورة هي الفعل actuality والمادة في ذاتها لا شعل لها على الإطلاق أنها الحامل اللامتعين للأشياء، إنها ما تبقى بعد أن يحذف من الشيء جميع خصائصه[2]، يتبين أن المادة تبقى في الشيء الأساسي الذي نكون قد قمنا بحذف خصائصه الأساسية أي أن الحامل يعتبر فراغ كامل وحاملا للأشياء إلى اللاوجود لها.

وما نجده أن هناك أمرين لدى كل من هيجل وأرسطو يشتركان فيهما، الأمر الأول هو أن الصورة هي الأساس في الأشياء والصورة كلية وهي المثال الأفلاطوني وهي نفسها الفكرة عند هيجل حين يذهب إلى أن "الفكرة الشاملة هي الطبيعة العقلية والماهية الحقيقية للأشياء.

أما الأمر الثاني فهو أن أرسطو خطا خطوة واسعة بعد أفلاطون حيث أنزل المثال الأفلاطوني من عالمه السماوي ليكون في صميم الواقع وفي قلب الموجودات، وهي نفسها فكرة هيجل التي تذهب إلى أن المقولات موجودة في قلب الأشياء وأنها أمامنا مباشرة[3]

أما النقطة الثالثة فهي فكرة التطور وهي الفكرة الأساسية في تطور المنهج الجدلي، فالتطور يفسر على أنه ظهور ما هو كامن أو مستتر فما هو موجود داخليا هو ما يظهر إلى العلة الصريح، فكل من أرسطو وهيجل مذهبهم هو مذهب التطور، فكل منهم مبني على تصور واحد لطبيعة

[1] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص62.

[2] ولتر ستيس: هيجل، مج1، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007، ص35

[3] المرجع نفسه، ص37

التصور حيث يرى أرسطو أنه انتقال من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ويرى هيجل أنه انتقل من الصمتي إلى العلني[1]

أما رابعا فهي فكرة المطلق أو الله وهو عند أرسطو فكر الفكر أو صورة الصورة لا يفكر في المادة وإنما يفكر في الفكر وحده، وهو نفسه الفكر وموضوع التفكير هو الفكر ذاته، فهو إذن يفكر في نفسه فقط، فالله هو الوعي الذاتي، والمطلق عند هيجل هو أيضا الوعي الذاتي أو فكر الفكر وهو سلسلة المقولات أي تكون الصورة والمضمون في وقت واحد، ومنه يقول هيجل: "إن المنطق لا يعني بالصورة وحدها وإنما يدرس كذلك الصورة والمضمون في وقت واحد والصورة وهي الفكر والمضمون هو الفكر أيضا أي يدرس الفكر الخالص او فكر الفكر كما ذهب أرسطو"[2]

زيادة على تأثر هيجل بالفلسفة اليونانية فغننا نجد الفلسفة الحديثة أيضا كان لها بدورها أثر على هيجل. واول الفلاسفة هو "باروخ سبينوزا" (**1632–1677**) baroukh.spinoza فهو اول فيلسوف له اثر على هيجل بصفة خاصة والمثالية الالمانية بصفة عامة، حيث أقر ذلك هيجل من خلال قوله: "سبينوزا نقطة نضالية في الفلسفة الحديثة. والإحراج هو: إما سبينوزا أولا فلسفته ومتى يبدا المرء بالتفلسف فلا بد له أن يكون سبينوزا" [3]ـ فأول فكرة أخذ بها هيجل واعترف بان اول من صاغها مبدأ واضح هو سبينوزا والقول بأن كل تعيين سلب وان جميع التحديدات عبارة عن سلب، وهي فكرة ضرورية ولها بالغ الاهمية عند هيجل . –وهو ما صادفناه عند زينون الإيلي وهو أن اسلب التعيين تعيينا–.

أما الفكر الثانية فهي فكرة اللامتناهي عند هيجل فهي مدينة بوجودها لسبينوزا. كون الشيء لا متناه معناه انه غير محدد ومن ثمة فالشيء المتعين هو الشيء المحدد لأن التعيين تحديد، وبناء على

[1] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص64

[2] ولتر ستيس: هيجل، مج1، مرجع سابق، ص38

[3] نقلا عن: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص361.

ذلـك فاللامتنـاهي هـو اللامحـدود[1]، ومـا مـادام الشـيء الـذي لا حـدود لـه لا صـفات لـه كـذلك مـن أي نوع فاللامحدود على ذلك هو الراغ الكامل، والجوهر عند سبينوزا هو الفراغ اللامتعين.

وفي هـذا السـياق يقـول سـبينوزا "إن الجـوهر هـو علـة ذاتـه وهـو مـن ثمـة لـيس اللامتعـين بـل هـو اللامحـدود بذاتـه متحـد بذاتـه، فتحديـداه ليسـت نابعـة مـن مصـدر خـارجي بـل في ذاتـه فقـط وعلـى ذلـك فاللامتنـاهي لـيس هـو الـذي لا نهايـة لـه أو غـير المحـدود أو المتعـين كمـا هـو مـألوف في التصـور الشـائع بـل هو المحدود بذاته".

أمـا إيمانويـل كـانط immanuel.kant (**1724–1804**) والـذي يعتـبر نقطـة انعطـاف في تـاريخ الفلسـفة الغربيـة بصـفة خاصـة والفكـر الفلسـفي بصـفة عامـة، يـرى هيجـل أنـه قـد أعلـى مـن شـأن الجـدل إذ نـزع عنـه مظهـر الوجـود الاعتبـاطي الـذي كـان التصـور التقليـدي يضـفي عليـه، فكـانط اعتقـد أن العقـل هـو الـذي ينبغـي أن ينسـب إليـه التنـاقض، لأن التنـاقض كـامن وموجـود في جميـع الموضـوعات وهـي الخاصـية الـتي تشـكل اللحظـة الديالكتيكيـة في علـم المنطـق[2]، مـا نفهمـه حسـب كـانط أن الفكـر ينـزع نزوعا طبيعيا إلى الوقوع في التناقض كلما حاول إدراك اللامتناهي.

إذ يعتـبر كـانط العقـل هـو ملكـة اسـتنباط الخـاص مـن العـدم، وهنـا يميـز كـانط بـين العقـل والـذهن، فالعقـل هـو ملكـة إدراك وفي نفـس الوقـت وسـيلة اسـتدلال يبحـث عـن حـد وسـط، أي عـن مفهـوم آخـر ومـن هنـا يمـارس العقـل عبقريتـه حينمـا يصـل إلى معرفـة بفعـل وجـود مفـاهيم قبليـة عـن الإدراك "المقـولات" الـتي تنطبـق علـى كـل موضـوعات التجربـة الممكنـة[3]، كمـا نجـد كـانط يعيـب علـى الفلسـفات السـابقة سـواء كانـت تجريبيـة أو عقليـة هـو عـدم النظـر إلى العقـل مـن حيـث هـو مصـدر كـل معرفـة، ومـن هنـا اتجهـت فلسـفته إلى الاهتمـام بالعقـل وتحليـل قدراتـه وإمكاناتـه مـن أجـل الوصـول إلى قواعـد عامـة، مـن هنـا جـاء اعتمامـه بالمتعـالي لأن المتعـالي عنـده كمـا يقـول "مـارتن هيـدجر martin.Heidegeir (**1889–1976**) "...هـو كـل معرفـة مزعومـة تقـف مـا وراء حـدود الانسـانية لا لأنهـا لا تتخطـى أشـياء

[1] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق ، ص ص66، 67.

[2] عبد السلام عبد العالي: الميتافيزيقا العلم والايديولوجيا، دار الطليعة ، بيروت، ط2، 1981، ص43

[3] إيمانويل كانط: نقد العقل المحض، تر: موسى وهبة، مركز الانماء القومي، ص43

الموضـوعات باتجـاه موضـوعيتها بـل لأنهـا تتخطاهـا وتتخطـى موضـوعيتها في آن واحـد... يكـون متعاليـا في نظر كانط كل تصور يتطلع كمعرفة موضوعات لا تحيط التجربة بها"[1].

كمـا أخـذ هيجـل عـن كـانط فكـرة التفرقـة بـين الكليـات الحسـية والكليـات العقليـة والمقـولات فهـي تصـورات خالصـة أي أنهـا لا تحتـوي علـى أي أثـر للحـس، ضـف إلى ذلـك نجـد أيضـا تـأثر هيجـل ب فيختـــه، يوهـــان غوتليـــب fichte.johan.gotlleb (**1762–1814**) إذا يرجـــع الفضـــل إلى فلسـفته إذ لفتـت الأنظـار إلى الحاجـة إلى إظهـار الضـرورة في المقـولات واسـتنباطها اسـتنباطا أصـيلا، إذ أن التفكـير الخـالص الـذي للـذات نفسـها، أي مطابقـة الـذات والموضـوع علـى صـورة الأنـا: الأنـا، وهـو مبـدأ النسق عند فيشته[2].

إذا يقـر فيشـته أن الأنـا يضـع نفسـه ويضـع مقابلـه الأنـا وهـو لـيس شـيئا في ذاتـه وكـذلك لـيس شـيئا خـارج الانـا لأن الانـا مطلقـة فـلا يمكـن تجاوزهـا، فالتـأليف عنـد فيشـته يتحـدد مـن خـلال الأنـا واللأنـا لا تصـنع نفسـها ولا تشـعر بوجودهـا إلا إذا حـددتها اللأنـا، وهـذه الأخـيرة اللأنـا لا يكـون لهـا وجـود إلا إذا حـددتها الأنـا[3]، كمـا يقـر هيجـل باهتمـام فيشـته بدراسـة كـانط حيـث بـرز ذلـك في قولـه: "لقـد تـأدت فلسـفة فيختـه إلى النتيجـة عينهـا الـتي تـأدت إليهـا فلسـفة كـانط، أعـني أن المتنـاهي وحـده يمكـن أن يعـرف أن اللامتنـاهي يجـاوز دائـرة الفكـر"[4]، فضـلا عـن ذلـك فـإن هيجـل يأخـذ علـى فشـته اسـرافه في الذاتيـة فالمبدأ الذي أقره لا يعبر إلا عن جانب واحد فقط.

أمـــا فريـــديريك فلهـــم شـــيلينج feriedsch.wilhem.schelling (**1775–1854**) فهـو علـى عكـس فيشـته والـذي رد كـل شـيء إلى الـذات، كـان شـيلنج يـبرهن علـى أن الطبيعـة توجـد مسـتقلة عـن الموضـوعات الأساسـية، حيـث يقـول هيجـل: "أن الصـفة الرئيسـية لمبـدأ فيشـته تكمـن في أن الـذات الموضـوع تصـدر عـن تلـك المطابقـة، فـلا يكـون بوسـعها بعـد ذلـك أن تسـتقيم مـن جديـد لأن

[1] مارتن هيدجر: مبدأ العلة، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1991، ص 85.

[2] هيجل: في الفرق بين نسق فيشته ونسق شيلنغ في الفلسفة، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص113.

[3] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص82.

[4] نقلا عن: جورج طرابيشي: معجم مصطلحات الفلاسفة، مرجع سابق، ص483.

المختلف إنما يرد إلى علاقة سببية، فمبدأ النهوي لا يصير مبدأ النسق وكما يشرع النسق في التكوين يكون النهوي قد أهمل، فالنسق نفسه يقوم على زمرة من المتناهيات الذهنية المتسقة لا يسعها أن تلم بالنهوي الأهلي فلا تفهمه كحدس ذاتي يصب في مركز الجملة"[1]، من خلال القول يتضح لنا أن شيلنج يقر بأن مبدأ الأشياء ليس كما جاء به فيشته وهو الانا بل هو الهوية بين الطبيعة والروح المطلق والذهني والطبيعة والروح معا.

فمبدأ شيلنج هو مبدأ النهوي وهو مطلق لنسقه حيث يبين هيجل ذلك بقوله: "أما كون النهوي المطلق مبدأ النسق برمته فذلك يحتم فيه أن توضع الذات والموضوع كلاهما كذات موضوع، فالنهوي لم يتأسس في نسق فيشته إلا كذات موضوع ذاتية، وذلك إنما يقتضي حتى يتم على نحو أن المطلق يعرض في كل منهما فيحصل على المقام في كليهما مجتمعين بما هو الربط التأليفي الأعلى الذي ينفيهما معا من حيث يتقابلان"[2]، ما يتبين أن شيلنج يرى أن الوعي في مروره من خلال الكثرة يصبح طبيعة ومن خلال الطبيعة يستيقظ ليصبح روحا إنسانيا.

غير أنه فشل في التعرف على المنهج الذي يمكنه التوفيق بين المتناقضات، إذ رأى أن منطق الفكر النظري لا يستطيع أن يجاوز دائرة الفرق والاختلافات وأن مصير العقل هو الاشتباك في متناقضات لا يمكن حلها[3]، وبما أن هيجل ابن عصره فنجده كان على اتصال وثيق وعميق بالقوى التي غيرت مظاهر الحضارة الحديثة، حيث نجد هيجل عاصر ثلاث ثورات كبرى في الفلسفة والسياسة والأدب فهو نشأ في عصر يزخر بحركات عظيمة.

أما الثورة الفلسفية فهي التي قام بها كانط والتي انتهى من خلال من خلالها بأن العقل هو الأساس في جميع معارفنا وأن الإنسان هو المركز، أما الثورة السياسية فقد قامت في فرنسا والتي تنادي بتمجيد الإنسان ورفعت منزلته، أما الثورة في الأدب فهي الثورة الرومانتيكية والتي أثرت أفكارها في

[1] هيجل: في الفرق بين نسق فيشته ونسق شيلنغ في الفلسفة، مصدر سابق، ص202

[2] المصدر نفسه، ص203.

[3] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص85

المـنهج الجـدلي لهيجـل، مـن خـلال نظـرتهم إلى الكـون علـى أنـه كـل مـترابط وفكـرتهم الغائيـة عـن التطـور وتمجيد للحرية واهتمامهم البالغ بدراسة التاريخ[1].

مـن هـذا يتبـين أن مصـدر الجـدل عنـد هيجـل وعلـى الـرغم مـن تـأثره وخوضـه في العديـد مـن التيـارات والخـوض في افكـارهم والتعمـق في جـذورها وامتصـاص أهـم اتجاهاتـه، إلا أنـه لم يخضـع لهـا علـى الـرغم مـن قوتـه وسـيطرته إلا أنـه بقـي محـافظ علـى شخصـيته ولم ينحـني أمـا أي ظـرف، إذا مـا يمكـن قولـه علـى الـرغم مـن نشـأة هيجـل في عصـر يزخـر بحركـات عظيمـة إلا أنـه كـون عبقريتـه الفريـدة مـن نوعهـا، بحيث جمع الأفكار وقام بتقديمها في نسق جديد من إبداعه هو نفسه.

[1] المرجع السابق، ص ص86، 87

المبحث الثاني: طبيعة المنهج الجدلي عند هيجل

لقد توقف الكثير ن الدارسين، على أهم التغييرات التي أبدعها هيجل لجدل إذ هناك من اعتبره منهج أولي ولكن نحن إذا نظرنا إلى معظم أعمال هيجل لوجدنا أن المنهج الذي أتى به هيجل أنما هو منهج وصفي يقوم على التعمق في أعماق المظاهر فهو ليس مجرد منهج تركيبي، بل هو رفض كل معرفة تكون مباشرة.

إذ يعرف هيجل الجدل على أنه في قوله "الخبرة التي يحسها الوعي عن ذاته و عن الموضوع"[1]، نفهم من هذا أن الجدل يكون من خبرة تكون مكتسبة يدركها الوعي من خلال ذاته و من الموضوع . ومنه يتخذ الجدل ويكون الانتقال من الأسفل إلى الأعلى و ينتقل من الداخل إلى الخارج ، وهذا ما يبرز في نظر هيجل أن الجدل هو انتقال وليس استنباط ، كما أنه يرى بأنه يسير في اتجاهه الطبيعي بما أنه ينتقل من الظاهر إلى ما هو باطن[2].

ونجده يميز بين الجدل الباطن و الجدل الخارجي، إذ يرى أنه لا يكون جدل الأشياء الموضوعية باطنيا فيها طالما أنها لا تستطيع أن تنمو وأن تفنى إلا بفضل المتناقضات فيها، إذا في نظره أن الجدل من في باطن التصورات ومقولات، مما يكون الجدل الباطني في كليهما، والجدل على هذا الاعتبار ليس منهجه لكنه يبين ذاتية و تطور الموضوع نفسه[3].

كما يرى أن الجدل الهيجلي هو تقدم مطور للمعرفة. فهو صورة لجدل الأشياء إذا في كل مرحلة ينبثق عنها التناقض من صميم الأشياء من أجل التصاعد نعحو التأليف وصولا غلى وحدة تتحقق في الواقع، فهو قانون تطور الوجود والفكر في آن واحد[4].

---

[1] هيجل: فينومولوجيا الروح، مصدر سابق، ص 105

[2] زكريا ابراهيم: هيجل والمثالية المطلقة، مرجع سابق، ص 142.

[3] ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص ص 165، 166.

[4] زكريا ابراهيم: هيجل والمثالية المطلقة، مرجع سابق، صفحة نفسها.

مـا يتبـين ان جـدل هيجـل يقصـد بـه تقـدم نحـو المعرفـة .حيـث اكتشـف هيجـل فيـه ضـرورة التنـاقض و التجـاوز المسـتمر مـن أجـل الانتقـال إلى مرحلـة أخـرى يظهـر فيهـا التـأليف بـين التناقضـات لتصـل في النهايـة إلى تحققهـا في الواقـع ، فهـو علـى حسـب وصـفه في كتابـه فينومولوجيـا الـروح بأنـه لم يكتشف قانون فكري محض، بل اكتشف قانونا واقعيا تشهد به البشرية.

ولكـي تتضـح طبيعـة الجـدل وأن نقـف علـى أهـم عناصـره و هـو السـلب* أو النفـي، إذ أن العمليـة الجدليـة يصـبح فيهـا السـالب موجبـا وكـأن الجـدل والسـلب وحـدة واحـدة، ومـا هـو متنـاقض ينحـل إلى العـدم** بـل يقضـي إلى السـلب، ومعـنى هـذا أن هـذا المـنهج يسـتلزم الانتقـال مـن فكـرة إلى فكـرة منافية لها أو مضادة لها أي من قضية موجبة إلى قضية سالبة[1].

وهنـاك عنصـران جوهريـان لا يقـلان أهميـة عـن السـلب و همـا عمليـة النفـي و التركيـب فهمـا متلازمـان و كـل عمليـة تكمـل الأخـرى، أي ينتقـل إلى تـأليف جديـد و لابـد مـن نفـي النفـي أجـل العـودة إلى إثبـات جديـد[2]، أي أن السـلب لـه عنصـران آخـران يكمـلان بعضـهم و هـي النفـي و التركيـب إذ اعتـبرهم يعتمـدان علـى التقابـل والتعـارض، كمـا أقـر بـأن النفـي لا يعـد مرحلـة أو حـد أخـير ، بـل هنـاك نقلة أخرى هي التي تؤدي إلى إثبات جديد و هي نفي النفي .

إذن الجـدل الهيجلـي يعـني أن الأشـياء ليسـت في التنـافي و في حالـة انسـجام و تصـالح بـل في حالـة صـراع و تنـاقض دائمـين . فكـل الظـواهر متناقضـة بصـورة أو بـأخرى حـتى و إن بـدت غـير ذلـك

---

* verneinung مـن الفعـل veriemen ظـان يجيـب بـالنفي وعكسـها كلمـة bejahen (الايجـاب) وهـي مـأخوذة مـن الفعـل bejahen أن يجيـب علـى السـؤال بـنعم إلا أن هيجـل بفضـل negation المـأخوذة مـن الفعـل اللاتيـني negare الـذي يعـني ينكـر ومنها الفعل ليب (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 376)

** nichts والاسم الذي يصاغ منه nichts نفي الوجود أو سلب الوجود sein (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 149)

[1] زكريا ابراهيم: هيجل والمثالية المطلقة، مرجع سابق، ص 149.

[2] المرجع نفسه، ص 160.

بمعنى أنها تحمل في ذاتها العناصر التي تؤدي إلى ضدها[1]، أي أن الأشياء والظواهر في صراع دائما بحيث أنها تكون في حد ذاتها متناقضة ومتصارعة فيما بينها حتى وإن لم تظهر إلى العيان على أنها متصارعة إلى أن هذه الظواهر في ذاتها يوجد ما يؤدي إلى الإقرار بعكسها.

كما نجد "هربرت مركيوز " يعتبر التناقض هو المقولة الرئيسية في الدياليكتيك الهيجلي و القوة الحاسمة فيه تستخدم كأداة لتحليل الواقع الزائف[2]، أي ما يوجد في الجدل من تناقض هو الذي يؤدي أو يستعمل كوسيلة لتحليل الواقع ـ حسبه ـ، كما نجده – "هربرت مركيوز "ـ يربط أيضا بين السلب باعتباره القوة المحركة في الدياليكتيك و بين مفهوم النقد عند هيجل، الذي يرى أن السلب الذي يطبقه الدياليكتيك ليس فقط نقد للمنطق التقليدي الذي يرفض الاعتراف بحقيقة المتناقضات، بل هو أيضا نقد للأوضاع القائمة على نفس الأرض التي نقف عليها[3]، أي أن للسلب أثر بالغ و يبرز على الوقائع بحيث لم يحصره في المنطق التقليدي بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما جعله و إقراره بأنه أساس كل حركة.

وكل نبض في الحياة، فالسلب هو الذي يتعمق في أشكال الوجود وهو من يتحكم بها وفي حركاتها بحيث أن الأشكال التي تظهر للذهن العادي بأنها صحيحة و إيجابية بل هي على العكس سلب و لا يمكن الإقرار بها إلا من خلال هدمها. وفي هذا يقر هيجل" أما الدياليكتيك فهو فن المبل المستمر الذي تتجاوز بواسطة التحديد و أحادية الجانب لصفات الفهم بحيث توضع في الصحيح أي يتضح ما فيها من سلب لأن الشيء المتناهي يطمس معالم نفسه ويضع نفسه جانبا"[4]، ومنه يقوم الجدل عند هيجل على ثلاثية متعارضة و هي القضية ونقيض القضية ومركب القضية، ويشير هذا الثلاثي للجدل الهيجلي إلى أن العقل يبدأ بإثبات حقيقة ثم ينكرها ثم يركب بينهما.

---

[1] هنري لوفيقر: المنطق الجدلي، تر: ابراهيم فتحي، دار الفكر المعاصر، ط1، 1978، ص 15.

[2] هربرت ماركيوز: العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، م1979، ص 44.

[3] المرجع نفسه، ص 13.

[4] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط1، 1983، ص 217.

ومـن أهـم الخصـائص الـتي يمتـاز بهـا هـي تنـوع المواضـيع الـتي خـاض فيهـا و تناولهـا إلا أنـه مـا هـو إلا فعاليـة فلسـفية تتمثـل في القـدرة علـى تمييـز العـرض مـن الجـوهر*، فالمفـاهيم الـتي قـام عليهـا الـدياليكتيك بمـا فيهـا التنـاقض والتـأليف، ومفهـوم الكـل قـد سـاعدت هيجـل علـى إبـراز وحـدة الطبيعـة والفكـر وهويـة المادة والصورة[1].

أي مـا أبـرزه هيجـل مـن مفـاهيم الـتي بـني عليهـا الجـدل هـي مـن سـاعدته علـى إدراك وفهـم حقيقـة الظـواهر المختلفـة والمواضـيع، كمـا نجـد هيجـل يركـز علـى المرحلـة الثانيـة والـتي يطلـق عليهـا اسـم مرحلة الجدل أو مرحلة السلب. إلا أننا لا ننكر أن كل مرحلة تكمل الأخرى.

كمـا نجـد الجـدل الهيجلـي لا يعتمـد علـى إنتـاج التعيـين كشـيء مضـاد. ولكـن يعتمـد علـى إنتـاج وإدراك المضـمون ذلـك النتيجـة الايجابيـة لتعيـين لأن ذلـك وحـده الـذي يجعـل الجـدل تطـور و تقـدم باطنيـا، مكـا أنـه لـيس نشـاطا للـذات المفكـرة تطبقـه علـى موضـوع خـارجي، بـل هـو نشـاط خـاص بالعقـل و الفكـر بوصفه شيئا ذاتيا يكتفي بمشاهدته فقط دون أن يضيف من جانبه أي عنصر من عنده[2].

كمـا يقـر هيجـل بقولـه: "الـدياليكتيك و نسـيج الواقـع نفسـه وتعبـير أعلـى عـن الطمـوح العـام للعقـل في سـعيه نحـو الالتقـاء بذاتـه في كـل شـيء و التعـرف علـى نفسـه ..."[3]، أي أن الجـدل يعـبر عـن شـيء أكـبر إذ يربطـه بالعقـل والـذي يسـعى مـن خـلال الجـدل إلى التعـرف علـى ذاتـه وعلـى مختلـف المواضيع إذن هو الواقع نفسه.

---

* substaque يقابـل العـرض لكـل ذات وجـوده لـيس في موضـوع وهـو الموجـود القـائم بنفسـه (جميـل صـليبا: المعجـم الفلسـفي، ج1، مرجع سابق، ص424).

[1] زكريا ابراهيم: هيجل والمثالية المطلقة، مرجع سابق، ص 161.

[2] عبد الله ابراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص 106.

[3] هيجل: أصول فلسفة الحق، تر: امام عبد الفتاح امام، م1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996، ص 141.

إذن نجـد أن الجـدل الهيجلـي يعتمـد علـى فكـرة الأضـداد ومفادهـا أن تفسـير أي فكـرة يقودنـا مباشرة إلى ضدها أو نقيضها. يصبح من العسير التمييز بين الفكرة ونقيضها أو فصلها عنها[1].

مـا نفهمـه مـن أن الجـدل لـه حركـة متتابعـة جـاءت نتيجـة لمـا قبلهـا، أي أن المرحلـة الـتي و تـأتي مـن الجـدل فرضتها المرحلة التي سبقتها.

ويقـدم لنـا هيجـل مثـالا محـاولا إثبـات أن أ هـي في نفـس الوقـت و لـنفس الأسـباب إذ يعـبر أن الإنتقـال مـن فكـرة إلى نقيضـها هـو انتقـال منطقـي ، يعـبر عـن نقـيض الفكـرة هـو ضـد محتواهـا الفكـري الـواقعي فـالنقيض لا يطالـب مـن إبقـاء نفسـه بـأن يكـون لـه تـدخل في فكـرة ولكنـه يطالـب بـذلك في سـيرة الـدياليكتيك[2]، بمعـنى الانتقـال مـن فكـرة إلى أخـرى يكـون انتقـال مضـبوط ومـنظم حـتى وإن كـان النقـيض لا يرغـب في إثبـات نفسـه علـى فكـرة مـا إلا أن مسـار الحركـة الجديـة يتطلـب منـه أن يكـون لـه تـدخل في تلك الفكرة، أي الاستعانة بعناصر الفكرة وتنبثق منها حتى ولو لم يكن هناك صلة.

ويقـدم مثـال ذلـك فكـرة الوجـود الـتي هـي الضـد لفكـرة اللاوجـود فكلاهمـا لا يقـدم شـيئا محـددا، ونجـد أول خطـوة يبـدأ بهـا الجـدل الهيجلـي هـي الخطـوة المباشـرة وفيهـا يبـدو الموضـوع كمـا لـو كـان مسـتقلا عن غيره، وبهذا يبني جدله هيجل على ثلاثة أضلاع تتصف بالخصائص التالية :

1/ **الضلع الأول**: هو الضلع المباشر أو يتصف بالمباشرة.

2/ **الضلع الثاني**: هو الأوسط أو التوسط .

3/ **الضلع الثالث**: ضلع الجمع ، يجمع بينهما _ أي أنه المباشر الذي دخله التوسط _[3] .

---

[1] رينيه سيرو: هيجل والهيجلية، مرجع سابق، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] امام عبد الفتاح امام: المنهج الجدلي عند هيجل، دار المعارف، مصر، 1969، ص 150.

ويعتبر الضلع الأول والثاني من أهم المصطلحات التي يعتمد عليها الجدل الهيجلي ، فعلى الرغم من أن الضلع المباشرة و التوسط* متجزئتان في الظاهر إلا أنه لا يمكن لأحدهما أن توجد دون الأخرى ، فإذا كانت المباشرة هي نقطة البداية أو أي بدء إلا أن التوسط يعتبر هو نهاية الفكرة أي النتيجة[1]، بمعنى أن ما يركز عليه هيجل هو المباشرة والتوسط وعلى الرغم من أن كل منها مجزء عن الآخر في الظاهر إلا أننا لابد أن نأخذ من شيء نقطة بداية ننتقل به إلى شيء آخر ، بحيث يكون هذا الأخير _أي الشيء الثاني_ وجوده متوقف على معرفتنا به من خلال شيء آخر مميز عنه .

فالتوسط هو الاختلاف وهو الانقسام الذي يظهر في الضلع الثاني من المكث الجدلي ويعني مقولة العدم، حيث أن الوجود قد انقسم فأخرج الوجود** والعدم. هذه التفرقة هي التوسط والضلع الثالث من الجدل يجمع بين المباشرة والتوسط وهو مركب في كل مثلث ممن ضلعين آخرين، هذا المركب يزيل الاختلاف والتناقض الموجود بين الضلع الأول والثاني، ولذا النشاط المزدوج للضلع لثالث هو ما يعبر عنه هيجل بمفهوم الرفع***[2].

* التوسط المباشرة وهي الكلمة الالمانية التي تعني "الوسط" mitte وتتولد عنها الصفة mittel و mitt أي وسط وتوسطها كلمة الوسط تعني أصلا الشيء الذي يوجد في الوسط ولكنها تعني ما يصلح لبلوغ الغرض... وفي الفلسفة الغير هيجلية هي مصطلح معرفي أساسي اليقين المباشر هو الذي لا يتوسطه دليل أو برهان، أما التوسط فكثير ما يير عند هيجل إلى توحيد الحدود عن طريق ثالث أما المعنى الأوسع الذي يستخدمه فهو المباشر هو مالا يرتبط بأشياء أخرى... (ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص ص 348، 349)

[1] هيجل فنمونولوجيا الروح، مصدر سابق، ص 86.

** في اللغة الألمانية في اسم sein أي "الوجود" ويستخرج من اسم فاعل متميز seid الذي يستخدم صفة وما يوجد أو الموجود، أي تشير إلى الوجود أو الوجود العقلي existence لأشياء بصفة عامة في مقابل الوجود المتعين وطابعها المحدد (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص95)

[2] امام عبد الفتاح امام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص 153.

*** يدخل في تركيبات لغوية عديدة عند هيجل أهمها aufhcben يرفع بمعنى الحذف والابقاء، وهي لها ثلاثة معاني يرفع يمسك يصعد، يزيل يبطل يدمر، ويحفظ يحافظ يبقى (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص528)

مـا يتبـين لنـا أن الضـلع الأول "المباشـر" ويلغـي الضـلع الثـاني "التوسـط" الـذي هـو نقـيض الضـلع الأول، وليـأتي بعـدها مركبهـا "الضـلع الثالـث" ليحـتفظ بكـل واحـد منهمـا. ليصـبح هـو الصـورة المتحققـة للقضـية ونقيضـها بحيـث هـو مـن يزيـل الاخـتلاف والتنـاقض واللـبس القـائم بنهمـا، وبمعـنى آخـر أن أ يلغـي ب فيـأتي ج ليحـتفظ بكـل منهمـا في آن واحـد، فمـثلا الوجـود والعـدم يوجـد بينمـا تنـاقض واخـتلاف مدمجان في وحدة هي الصيرورة*.

الصـيرورة هـي وحـدة الوجـود والعـدم ،فيهـا يرفـع الاخـتلاف والتبـاين بينهمـا ، ومـع ذلـك يبقـى الوجـود و العـدم في نظـر هيجـل موجـودين في الصـيرورة ، فالضـلع الأول و الثـاني يتصـفان بالتجريـد، أمـا الضـلع الثالـث فيتصـف بالعينيـة في الصـورة الكـل الـتي تتجـاوز الـوجهين المجـردين، وهيجـل هنـا يقـر أن الحقيقـة النهائيـة الكاملـة لا توجـد في الكـل** الـذي يحـوي جميـع الأشـياء كـأجزاء لـه، وبـذلك يصـل هيجـل إلى درجـة مـن العينيـة تبـدو إلى جانبهـا كـل أنـواع الحقـائق الأخـرى المجـردة مجـردات لأنهـا جـردت مـن الكـل الذي تنتمي إليه.[1]

إن المقولـة الأساسـية الـتي يعتمـدها الجـدل كبدايـة لحركتـه، هـي مقولـة عقليـة بحتـة يوضـحها هيجـل في قولـه: "كمـا أننـا في فينومولوجيـا الـروح بـدأنا بـالوعي المباشـر، وبمـا أننـا في ميـدان العلـم الخـالص فلابـد أن نبـدأ بالمباشـرة الخالصـة ،والمباشـرة الخالصـة هـي الوجـود الخـالص"*،[2] ومـا يتبـين لنـا أن الجـدل ارتـبط منـذ

---

* ueden بمعـنى يصـير أو تسـتخدم الصـيرورة أيضـا كفعـل سـابق في صـيغة المسـتقبل وفي الافعـال المبنيـة للمجهـول، وعنـد هيجـل تـرتبط الصـيرورة بهـراقليطس الـذي ذهـب إلى أنكـل شـيء محكـوم عليـه لا بـالوجود بـل بالصـيرورة وهـو الصـراع الـدائم، ولـذا رأى هيجـل مثـل هيراقليطس أن التضاد والصراع جوهري للصيرورة... (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص96)

** الكل الصفة الالمانية ganz تعني كل بأسره وقد ظهر الاسم من هذه الصفة ganze الكل ويستخدم هيجل كلمة الكل بمعنيين:

المعنى الأول تضـايق الكـل مـع الأجـزاء... والمعـنى الثـاني تسـتخدم كلمـة ganze أيضـا للانتقـال على الكـل مـن نـوع الـذهن، والكـائن الحـي والمذهب الذي تكون أجزاؤه لا يمكن إزالتها على الاطلاق (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص154)

[1] امام عبد الفتاح امام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص 154.

* الوجـود الخـالص هـو الـذي يـدل علـى مقولـة مباشـرة يبـدأ بهـا المنطـق فهـو الـذي يخلـو مـن كـل تجنـب فـلا هـو "س" ولا "ص" ولا هـذا ولا ذاك ..الخ (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص97)

[2] هيجل: فنومنولوجيا الروح، مصدر سابق، ص 87.

البداية بالوجود الخالص مثله مثل الروح، والتي انطلقت من الوعي المباشر الحر نفسه يكون في ميدان العلم الخالص.

فبفضل الجدل تغيرت الصورة التي كانت تتخذها قوانين الفكر إذ أن تطبيقه يؤدي إلى نتائج في غاية التقدمية. كما يقول أنجلز engels (**1820_1895**) "نعتبر أي شيء نهائيا مطلقا ومقدما. إنها تكشف الغطاء عن الصفة المؤقتة لكل شيء ولا تستطيع الثبات و الصمود أمامها إلا عملية متصلة من الصيرورة والزوال أي عملية الارتقاء الدائم وما الفلسفة الديالكتيكية ذاتها إلا مجرد انعكاس في مخ الفكر "[1]، من خلال هذا القول يظهر لنا أن الجدل الهيجلي من خلال التكامل والترابط إذ يقر بأنه في ارتقاء و تطور، واعتبرها انعكاس في ذهن الفكر فهي لا تتضح بمعناها حتى تكتمل من خلال بلوغ الفكر درجة تجاوز ت مبادئه لنفسها، كما أن الجدل بلغ مستوى يمكن فيه أن يدرك غايته بعدما أصبح الفكر يرجع إلى الذات .

لذا فإن الحركة الجدلية للفكر عند هيجل ليست مجرد تعاقب للوعي الإنساني ، بل هي حركة الوجود بصفة عامة، ومنه نستنتج أن هيجل قدم لنا منها فلسفيا جديدا يقوم على تعميق الفكرة الواحدة من أجل اكتشاف ما تنطوي عليه في صميمها من تناقض ، تمهيدا للعمل على تجاوزها و الإرتقاء إلى فكرة أخرى جديدة تأخذ منها ومن نقيضها ما فيه من عنصر جدير بالبقاء وليس من الشك أن الأصل يكمن في هذا المنهج إنما الرغبة تكمن في تجاوز ما يفرضه كل تفكير علينا، وإذا كان هيجل قد جعل من مفهوم الكل مفهوما أساسيا من مفاهيم الجدل إنما يعني في النهاية إدماج الأشياء في الوحدة، ولما كان الجدل مرتبطا أوثق الارتباط بموضوعه فليس غريب أن نرى هيجل يجعل الدياليكتيك قانونا عاما يصدق على حركة الطبيعة مثلما يصدق على ترقي الفكر ومنه يمكن لنا القول بأن الجدل منطق علاقات كما في نفس الوقت منطق حياة .

[1] حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1939، ص 60.

المبحث الثالث : علاقة الجدل بالمنطق عند هيجل

يعتبر المنطق عند هيجل هو القسم الأساسي في فلسفته، إذ يظهر لنا مخالف للمنطق الصوري التقليدي تماما، إذ أن المنطق الهيجلي هو ذلك العلم الذي يدرك الأشياء في الفكرة التي تعبر عن أهمية الأشياء وبعبارة أخرى المنطق هو العلم الذي يبحث عن الماهيات العقلية ، حيث يرى أن المنطق هو الفكر الموضوعي الذي يؤلف باطن الكون، وهو نظام التعيينات الخالصة للفكر وهو أيضا الروح التي تشيع فيها جميع العلوم ويجمع بين الوجود في حالة تجريد و في حالته العينية[1]، ومعنى هذا أن موضوع المنطق هو موضوع الطبيعة والفلسفة، إذ نجد هيجل قسم فلسفته إلى ثلاثة أقسام كبرى التي عن طريقها نجد نسقه الفلسفي وهي المنطق، وفلسفة الطبيعة وفلسفة الروح .

فما المقصود بالمنطق عند هيجل؟ وما علاقته بالجدل يا ترى ؟

1/ يعرف المنطق بصفة عامة بأنه العلم الذي يدرس المبادئ العامة للفكر الصالح، موضوعه هو مناقشة مزايا الأحكام المعتبرة لا بوصفها ظواهر نفسية ، بل بوصفها معبرة عن معارف ومعتقدات وهو يبحث بنوع خاص عن تحديد الشروط التي يحقق لنا بموجبها الإنتقال من أحكام معينة إلى أحكام اخرى تكون من لزومها ويمكنه أن يسمى علما معياريا أو نظاميا و هو يتسم بهذه السمة المشتركة في الأخلاقيات والجماليات[2].

أما المنطق الهيجلي فنجده يقود الفلسفة بأسرها، بحيث يزول التعارض بين الذاتي و الموضوعي فمقولات الفكر هي المنطق وهي في الوقت نفسه مقولات الكينونة فإذا كان الفكر المنطقي ديالكتيك فإن الكينونة نفسها ديناميكية[3]، أي يجعل هنا كل من الفكر المنطقي والكينونة يرتبطان بالجدل، كما نجد المنطق الهيجلي يشتمل على ثلاثة أقسام تتمثل في كل من نظرية الكينونة ونظرية الماهية ونظرية التصور.

---

[1] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، ج1، مصدر سابق، ص25.

[2] اندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، مج 2، تع: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2008م، ص

[3] رينيه سيرو: هيجل والهيجلية، مرجع سابق، ص 28.

1) **نظريـة الكينونـة:** تعـالج هـذه النظريـة المقـولات المباشـرة الـتي تبتـدئ بعـد الكينونـة. إنهـا الفكـرة الأكثـر تجريـدا أو كليـة وهـي بالـذات مـا يجعلهـا الأكثـر فراغـا مـن حيـث المضـمون، فالكينونـة تسـاوي العـدم غـير أن هـذا التنـاقض يجـد لنفسـه مخرجـا في الصـيرورة ، أي في الإنتقـال مـن الكينونـة إلى العـدم ومـن العـدم إلى الكينونة[1].

المقصـود منهـا أنهـا تعـالج المقـولات أشـد بسـاطة والأقـل تعينـا بحيـث اعتـبرت مـن حيـث المحتـوى فارغـة. ورأى فيهـا تنـاقض يجـد ضـالته في الصـيرورة، باعتبارهـا أول فكـرة عينيـة إذ نجـد جميـع مقـولات الكينونـة تظهـر انطلاقـا مـن الصـيرورة، إذ اعتـبرت الانتقـال مـن كيفيـة إلى أخـرى، ويقـر بـأن هـذه العمليـة _أي عمليـة الانتقـال_ تتعـدى إلى الحركـة الجدليـة مـن الكـم* إلى الكيـف** ومـن الكميـة إلى الامتداديـة ومـن المقـدار إلى الدرجـة وهكـذا تصـل إلى القـدر، تـربط بيـنهم علاقـة دياليكتيكيـة[2]، بمعـنى النظريـة تتنـاول المقـولات الـتي تبـين كـل مـا هـو مباشـر لنجـد أنفسـنا أمـام مـذهب الوجـود والـذي بـدوره تظهـر فيـه مقـولات مختلفـة أهمهـا مقولـة الكيـف و الـتي مـن خلالهـا يكتسـب الوجـود شـكلا وعـن طريـق عمـر الـدياليكتيك ننتقـل إلى مقولـة الكـم بحيـث تؤلـف بينهمـا ولا تنظـر إليهمـا كـلا بمفـرده، وهـي في هـذا الـربط تظهـر مقولـة القياس، والأمثلة كثيرة عند هيجل منها انتقال الصلب إلى السائل ثم إلى الحالة الغازية.

---

[1] المرجع السابق، ص29.

* الكـم مـن الكلمـة اللاتينيـة quantites الـتي جـاءت مـن الكلمـة quantusc والـتي تعـني كـم عـدده كـم حجمـه، والكلمـة الألمانيـة gaisse وحكـم استنسـاخ كـم مـأخوذة مـن الكلمـة gross (عظـيم، واسـع، كبـير، تتـأرجح بـين qurtiral وquastum (ميخائيـل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 448)

** من الكلمة اللاتينية qualtutus التي جاءت بدورها من qualus التي تعني (من أي نوع؟ وهي في الاستخدام المألوف: درجة الامتياز الجيد أو الرديئ والامتياز الشامل وفي الفلسفة تعني الصفة أو النسبية ويساوي هيجل (بالتعيين والتحديد وكيف الحكم أن يكون موجبا أو سالبا أو محدودا (ميخائيل أوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 447)

[2] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مصدر سابق، ص 60.

ويـرى هيجـل أن الانتقـال مـن فكـرة الموجـود الخـالص إلى فكـرة الوجـود المتعـين* إنمـا يكشـف لنـا عـن مقولـة الصـيرورة، والوجـود المتعـين ينقلنـا إلى الموجـود لذاتـه** الـذي يتضـمن الصـفات الموجـودات الأخـرى الـتي كانـت تضـمه بـالقوة هـي الوجـود المتعـين[1]، أي أن الصـيرورة تكشـف لنـا مـن خـلال الانتقـال مـن فكـرة الوجـود الخـالص غلـى الوجـود المتعـين اي مـن خـلال حركـة جدليـة مسـتمرة الانتقـال مـن فكـرة إلى أخـرى حيـث أن الوجـود الخـالص ينقلنـا إلى الوجـود المعـين الـذي بـدوره ينقلنـا إلى الوجـود لذاتـه، والـذي يكشـف فيـه الصـفات الموجـودة في الوجـود المتعـين المتضـمنة في الموجـودات المختلفـة والـتي تكـون موجـودة فيه بالقوة.

ويرى هيجل أن النظر في مذهب الوجود يقودنا مباشرة إلى النظر في مذهب الماهية.

2)**نظريــة الماهيــة*****: الماهيـة عنـد هيجـل تسـتخدم في الحيـاة اليوميـة تعـني التجمـع أو التكـرم، ويـذهب إلى اسـتخدامها علـى هـذا النحـو قريـب مـن اسـتخدامه هـو، مـادام يعـني أن الأشـياء ينبغـي أن تؤخـذ علـى

---

* يقـول المتعـين، يقـول هيجـل أن الوجـود المتعـين هـو الوجـود مـع التعيـين أي تعـين مباشـر الـتي مقابـل الماهيـة الكامنـة أو الكيـف، وظهـرت مقولـة "الوجـود المتعـين" مـن انهيـار الصـيرورة، انتقـال متبـادل بـين الوجـود والعـدم الواحـد منهـا الآخـر، ومـن هنـا فـإن الوجـود المتعـين يتضـمن السـلب لأن يضـمن الصـيرورة الـتي تجمـع بـين العـدم والوجـود، وعلينـا أن نلاحـظ أن مـا يسـمى بالعـدم ميتافيزيقـا يسـمى "السـلب" منطقيـا... (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 185)

** الوجـود لذاتـه فكـرة معقـدة وليس السـبب انهـا تقابـل الوجـود لذاتـه فحسـب، بـل لأنهـا تقابـل مصـطلح الوجـود للآخـر، ونجـد الوجـود لذاتـه يتضـمن عـدة أفكـار، كمـا نجـد هيجـل يـربط في كتابـه علـم المطلـق بـالتعبير الشـائع مثـل "مـا نـوع هـذا الشـيء وحرفيـا مـا الـذي يكـون مـن أجـل هـذا الشـيء؟ وذلـك يعـني أنـك عنـدما تسـأل عـن نـوع شـيء مـا جـاء بهـلا ذلـك يـرادف سـؤالك مـا الـذي يكـون مـن أجـل الشـيء؟ (ميخائيـل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 252)

[1] سامي النشار: هيراقليطس ضمن مرجع فيليب ويلراين، مرجع سابق، ص 362

*** ESSACE مـن أكثـر اسـتخداماته هـي في الوجـود الكـائن أو الكيـان لا سـيما الكـائن الحـي وكـذا الماهيـة الطبيعيـة أو طـابع الكـائن الفـردي أن يكـون وأن يكـون كـذا في مقابـل وجـوده الفعلـي أو الوجـود المتعـين وكـذا الطبيعـة التابعـة الغائيـة لشـيء (معجـم مصـطلحات هيجل، مرجع سابق، ص175)

أنهـا مركبـة في علاقاتهـا المختلفـة الصـريحة[1]، والمقصـود هنـا أن هـذه الكلمـة تسـتخدم في الحـديث عـن أشياء لا تؤخذ على أنها فردية بل تؤخذ على أنها كلمة معقدة أو مركبة.

نجـد الماهيـة عنـد هيجـل هـي مـا يسـتتر تحـت المظـاهر المتغـيرة للوجـود التجـريبي ، فكـل المظـاهر التجريبيـة الخارجيـة في ماهيتهـا، فمـثلا مظهـر الـثلج والمـاء وبخـاره جميعهـا ماهيتهـا المـاء بوصـفه هويـة دائمـة مـع ذاتـه، ويـربط هيجـل الماهيـة بعمليـة الفهـم، فالماهيـة مثـل الوجـود لهـا اسـتخدام واسـع وآخـر ضـيق: فهـي تشـمل في آن معـا جميـع تصـورات الفكـر وتعيناتـه في دائـرة الماهيـة، وتشـير إلى أول هـذه التعيينـات وأكثرهـا عموميـة، والانتقـال مـن الوجـود (في اسـتخدام الواسـع) إلى الماهيـة (في الاسـتخدام الضـيق) هـو كمـا يلـي: في دائرة الوجود نلتقي بالكيفيات والكميات، والتفاعل المعقد بينها على نحو ما تمثله مقولة القدر*.[2]

ومـا يتبـين لنـا أن في نظريـة الماهيـة نجـد أن حـد القـدر ينتقـل مـن الكينونـة إلى الماهيـة، بحيـث يقـر بـأن مـا يقـع تحـت الحـواس الظـاهرة وبالتـالي ينتقـل إلى أبعـد مـن تقريـر الكيـف والكـم ومـا يظهـر مـن الأشـياء ليتغلغـل في ويتعمـق في عمـق وصـميم الأشـياء ومثـال عـن ذلـك وظهـر الـثلج والمـاء والبخـار يقـر بأنهـا مظـاهر تجريبيـة ماهيـة المـاء باعتبـاره مـع ذاتـه يعتـبر هويـة دائمـة، فالماهيـة تقـوم علـى التقابـل بـين الحـدود وأشـد هـذه التقـابلات في نظـر هيجـل الظـاهر** والبـاطن، الـداخل والخـارج[3]، بمعـنى في هـذه الحالـة تتقابـل الألفـاظ زوجـا زوجـا، أي كـل واحـدة منهـا تسـتدعي الأخـرى والظـاهر يسـتدي البـاطن والـداخل يسـتدعي الخـارج، ولـيس المقصـود أن الشـيء لـيس شـيئا بـل العكـس هـو شـيء حـتى ولـو تم تجريـده مـن خصائصـه التي يكون هو عليه.

---

[1] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مصدر سابق، ص297

* مقولـة القـدر تعـني أن لكـل شـيء قـدر مـن الكـم يتناسـب مـع كيفيـه فهـي إذن وحـدة الكـم والكيـف (معجـم مصـطلحات هيجـل، مرجـع سابق، ص 176)

[2] هيجل: فينومولوجيا الروح، مصدر سابق، ص

** Apporance في الألمانيـة هنـاك كلمتـان تعـبران عـن الظـاهر schuens و erscemng وهـذه الاخـيرة يسـتعملها في الظـاهر بالنسـبة للماهيـة schien فتعـني عـابر يعتمـد عليـه لكـن مـا يعتمـد عليـه لـيس الماهيـة بـل شـيء آخـر (معجـم مصـطلحات هيجـل، مرجـع سابق، ص26)

[3] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة ،ج1، مرجع سابق، ص585.

فالـذي يتأمـل ينظـر إلى الماهيـة علـى أنهـا بـاطن الأشـياء و لـيس شـيئا آخـر ،إلا أن الواقـع يبـين عكـس ذلـك أن مضـمون الـداخل و مضـمون الخـارج يعتـبر واحـد، فالماهيـة مـا هـي إلا مـا يظهـر منهـا والـذي لا يخـرج عـن ذاتهـا وليس شـيئا آخـر، كمـا نجـد أنـه في مقابـل وبـإزاء الماهيـة يوجـد الموجـود المباشـر بوصـفه عنصـرا يصـدر عنهـا، والوجـود هـو في حـد ذاتـه مظهـر يتـألف مـن الوجـود الـذي تجـاوزه الوجـود إلى عـدم أو الوجـود الـذي لـه صـفة العدميـة في الماهيـة، ففـي خـارج الماهيـة لا وجـود للظـاهر والـذي يبقـى بعيدا عن ميدان الوجود[1].

3) **نظريـــة التصـــور**: يـرى هيجـل التصـور يشـمل علـى ثـلاث لحظـات وهـي الكلـي* والجزئـي** والفـردي***، وهـي تشـكل لحظـات ثـلاث للفكـرة الشـاملة****، فالتصـور الكلـي ينظـر إليـه علـى أنـه هويـة مجـردة، ولكنـه يصـبح فكـرة جزئيـة، ومنـه يصـبح التصـور هـو الأسـاس ويتحقـق في الكليـة الـتي يشـملها وبهـذا يصبح تصورا موضوعيا.

ويـرفض هيجـل وجهـة النظـر الـتي تقـول أن الكليـات و الجزئيـات والأفـراد متمـايزة عـن بعضـها الـبعض، فـالكم عينـي ولـيس مجـرد أو يتطـور إلى الجزئـي والفـردي ويـدعم نفسـه فيهمـا[2]، أي يـرفض التمييـز

---

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المرجع السابق، ص 585.

* unversal الكلمـة الألمانيـة allgein (تمـام كلـي) هـي تعـني حرفيـا مـا هـو شـائع أو مشـترك بـين الجميـع والمصـطلح المـألوف عنـد هيجـل لكلمـة آلي هـو allgenein فهـو لا يسـتخدم كلمـة uniuversell إلا في بعـض المناسـبات وهـو يسـتخدم unuversun بمعـنى الكون الشمول العالم ككل.

** particual الكلمـة الألمانيـة besonder الـتي تـرتبط في أصـلها الاشـتقاقي بالكلمـة الانجليزيـة sunder (بفصـل، يشـطر، ينفصـل) وتولد عنها besondere الجزئي ويستخدم هيجل partikuular للدلالة على الحكم الجزئي

*** endividiel الكلمـة الألمانيـة einzelin (الفـردي المفـرد والفـرد) المعـزول ...الخ والـتي جـاءت مـن ein بمعـنى واحـد ومفـرد هيجـل عـادة كلمـة einzlen لتقابـل كلمـة allgenien وكلمـة besandor (معجـم مصـطلحات هيجـل، مرجـع سـابق، ص ص 561، 562)

**** الفكـرة الشـاملة (التصـور) concept تعتـبر هـي القسـم الثالـث مـن المنطـق بعـد الوجـود والماهيـة، ويعتـبر هـو المركـب بـين القسـم اتـلأول والثـاني وإن كانـت هـذه الأقسـام لا تـدرس إلا موضـوعا واحـدا هـو الفكـرة الشـاملة begilt في مراحلهـا المختلفـة وصـوره المتنوعـة (معجـم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 260)

[2] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مصدر سابق، ص 358.

بينهما بحيث توجد علاقة فيما بينهما، فالكم يتطور إلى الجزئية والفردية، بمعنى أن لا يكون كليا إلا بفضلهما والتصور يتموضع في ثلاثة أشكال هي الآلية* والكيميائية** والغائية***.

1/الآلية: التي تتموضع فيها الأشياء بعضها إلى جوار بعض .

2/ **الكيميائية**: التي تتجدد فيها الأشياء وتتداخل.

3/**الغائية**: والتي يوجد فيها تصور الغاية نشاط الأجزاء وهي التي تمهد السبل لمجيء الصورة بالمعنى الكامل.

ونجد هيجل يقول: "ما هو عقلي هو واقعي وما هو واقعي بصورة فعلية هو عقلي"[1] ونفهم من هذا القول أن الوجود الضروري أي الضرورة العقلية تكون مطابقة للواقع الحقيقي فالضروري هو أولا ونجد هيجل يقول عن المنطق: "إذا نظرنا للمنطق على أنه نسق الفكر الخالص، فسنجد العلوم الفلسفية الأخرى، كفلسفة الطبيعة وفلسفة الروح بتطبيقات للمنطق وذلك لأن المنطق والروح التي تشيع الحياة في هذه العلوم "[2]، نفهم من هذا القول أن المنطق هو بحث في طبيعة العقل ودراسة في للفكر الخالص، فهو لا يعني هنا بالأشكال والصور وحدها، وإنما يدرس هذه الأشكال مع مضمونها الذي هو الفكر فهو دراسة الفكر من أجل الفكر وحده.

---

* الآلية: meclanisme وهي مشتقة من الكلمة اليونانية mechanè بمعنى (الحيلة، الآداء الآلة، الوسيلة) وهي تعني تنظيم الأشياء وتفاعلها على أسس آلية، أعني على نمط حيادي التي تحمل عليها الآلة (معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص343)

** الكميائية: chemismus وهي مشتقة من chemie أي الكمياء وهي في الأصل مأخوذة من كلمة عربية الكمياء alcheny وهي تماثل الآلية من حيث أنها تنظم وتفاعل الأشياء على أسس كميائية ويستخدم هيجل هذا المصطلح بحيث يعتقد أنه حتى لو انفصل عن النظام ولم يعد يرتبط بالموضوعات الأخرى فإن الجواهر والمواد الكميائية ترتبط بعضها ببعض عن طريق ارتباطها داخليا بواسطة التضاد والانجذاب (معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 345)

*** الغائية televley من telos اليونانية بمعنى هدف أو غاية أو اللوغوس logos بمعنى كلمة عقل نظرية، فقد تعني حرفيا نظرية الغرض، غير أن هيجل يطبعها أساسا على الطابع الغائي لموضوع ما أو ستؤمن الموضوعات (معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص346)

[1] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص24.

[2] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مصدر سابق، ص 12.

أو دراسة ما يتألف منه الفكر بغية الكشف عن طبيعته وماهيته، ويقول " وولش " عن المنطق: " لقد فسر هيجل سير التاريخ كتقدم ديناليكتيكي، ولفهم الديناليكتيك علينا الرجوع غلى أكثر الأمور الفلسفية تجريدا، أي إلى المنطق"[1]، أي علينا العودة إلى المنطق لكي نفهم تفسير هيجل لتاريخ كسيره كحركة جدلية.

ولقد خلص هيجل إلى أن الفكر الجدلي هو الفكر الطابع على الوجود وإنه يسير على ايقاع ثلاثي " القضية ونقيضها و التأليف "، إذا اعتبرنا الجدل الهيجلي ليس صورة خالية او إطار فارغ بل يعتبر الجدل هو روح الموضوع والذي يجعله ينتج آليا فروعه ولا يمكن له أن ينطبق على موضوع من الخارج لأنه ليس نشاط ذاتي للتفكير، وفي هذا يقول هيجل: "يبدو أن من الضروري أن نبدأ بذكر بعض النقاط الأساسية التي تتعلق بالمنهج الذي يسير عليه، أو الطريقة التي يسير على هديها هذا العلم، ومهما يكن من شيء فإن طبيعة هذا المنهج يمكن أن نلتمسه فيما سبق أن ذكرناه، أما العرض المنظم لهذا المنهج تلك هي المهمة الخاصة التي يضطلع بها المنطق. بل هي المنطق نفسه لأن المنهج ليس شيئا آخر"[2].

يتبين لنا من القول أن ما يقصده هيجل بالجدل كمنهج، هو المنطق إذا اعتبره العرض المنظم لهذا النهج لأنه يعرض الجدل من بدايته إلى نهايته لأنه اعتبر أن مهمة المنطق هي تتبع الجدل حتى النهاية، حيث يقول:" المنهج هو الفكرة الشاملة التي تنمو بفضل نشاطها الخالص ولقد عرضت في المنطق"[3]، ونخلص من هذا القول أن الفكرة الشاملة و التي تعتبر القسم الأخير من المنطق غير أنها تطلق على المنطق كله لأنها هي الخلاصة التي يتوصل إليها و التي تكون نتيجة مقولة الوجود ومقولة الماهية والتي تتوصل إليها الفكرة الشاملة، والتي اعتبرها أنها هي الحر الديالكتيكية الأصلية.

حيث يقول هيجل أن الفكرة أبد أن تدرس في طبيعتها الجوهرية وتطورها الكامل، إنها في آن معا موضوع البحث وفعل البحث، ومن ثم فهي تفحص نفسها وبنشاطها ينبغي عليها أن تعيين

[1] ولتر ستيس: مدخل لفلسفة التاريخ، تر: أحمد حمدي محمود، مؤسسة متجر العرب، القاهرة، 1962، ص 188.

[2] هيجل: فيمنو لوجيا الروح، مصدر سابق، ص 41.

[3] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 34.

حـدودها، وأن تشـير إلى خصائصـها، وذلـك هـو نشـاط الفكـر الـذي أسميـه مـن الآن فصـاعدا باسـم المـنهج الـدياليكتيكي"[1]، كمـا نجـد أيضـا أن المراحـل الجدليـة الـثلاث والمتمثلـة في الحـد الأول المباشـر و الحـد الثـاني التوسـط و الحـد الثالـث المركـب، نجـدها كلهـا خطـوات رئيسـية وتنطبـق علـى مراحـل المنطـق وأقسـامه الثلاث هي:

1/**دائرة الوجود**: والتي هي دائرة مباشرة.

2/ **دائرة الماهية**: وهي دائرة التوسط.

3/ دائرة الفكرة الشاملة: وهي المركب من المباشرة والتي يكمن فيها التوسط[2].

ومعـنى هـذا أن جميـع مبـادئ الجـدل الرئيسـية هـي أجـزاء مـن المنطـق نفسـه ومـن خـلال علاقـة المنطـق بالجـدل نسـتخلص أن المنطـق عنـد هيجـل لـه ثلاثـة أبعـاد وهـي: البعـد المجـرد أو جانـب الفهـم، والبعد الجدلي أو الجانب السلبي، والبعد النظري أو الايجابي للعقل*.

الحـد الأول هـو مـن أعمـال الفهـم لأنـه يؤكـد نفسـه بنفسـه ببسـاطة بوصـفه المقولـة الوحيـدة في الوجـود، وعلـى هـذا النحـو يضـع الوجـود نفسـه ويؤكـد أن الوجـود هـو الوجـود ولا شـيء غـير ذلـك[3]، بمعـنى نأخـذ أحـد التصـورات أو المقـولات علـى أنهـا ثابتـة ومحـددة بدقـة وتكـون متميـزة عـن التصـور الآخـر بحيـث أن الشيء يكون هو متميز ومنفرد عن المقولة الأخرى.

---

[1] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مج1، مصدر سابق، ص 41.

[2] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص32.

* يـرى هيجـل أن هـذه الجوانـب الثلاثـة لا تكـون ثلاثـة أقسـام مـن المنطـق، وإنمـا هـي مراحـل أو محطـات لكـل فكـرة منطقيـة (الفكـرة الشـاملة) ولكل حقيقة أيا كانت (معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 163)

[3] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مج2، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مديولي، القاهرة، 1981، ص 213.

أمـا الحـد الثـاني والـذي يكـون خـاص بالعقـل السـلبي، فالعـدم مـثلا حـد سـلبي يتضـمنه العقـل ولكـي نحصـل علـى العـدم لابـد أن نخرجـه مـن ضـده، أي مـن الوجـود وأن نكشـف عـن اتحـاده معـه[1]، أي أن يظهر التناقض في الشيء بحيث لا يمكن إدراك شيء ما إلا إذا قمنا بالكشف عن ضده.

أمـا الحـد الثالـث وهـو الخـاص بالعقـل الايجـابي لأنـه لـيس مجـرد سـلب كالحـد الثـاني وإنمـا هـو عـودة إلى الإثبـات الأول الـذي يسـتطيع أن يتحـول إلى قضـية[1]، أي نتيجـة الجـدل الـذي قـام في الحـد الأول والحـد الثـاني فـإن الحـد الثالـث يظهـر لكـي يشـملهما ويحـل مكـان متنـاقض فيـه، و الـتي يسـميها هيجـل بـ " صـراع الأضـداد، والـذي يـتلاءم مـع بعـض الحـالات مثـل أشـار هـو الوجـود، العـدم، الصـيرورة، وخلاصـة لمـا سـبق ذكـره يمكـن لنـا القـول أنـه يجـب علينـا أن نـدرك الأهميـة البالغـة لطبيعـة الجـدل وعلاقتـه بـالمنطق و أنـه علينا فهمها.

فالجـدل بصـفة عامـة وعلـى رأي هيجـل يفسـر كـل حركـة وكـل تغيـير سـواء في العـالم أو في فكرنـا معـا، كمـا أنـه يفسـر أيضـا لمـاذا تتماسـك الأشـياء بعضـها الـبعض بطريقـة نسـقية، بقـدر مـا تتماسـك أفكارنـا، وهـو روح كـل معرفـة تسـعى بـأن تكـون علميـة تكـون حقـا علميـة فكـل مـا يحـيط بنـا هـو مثـال على نشاطه.

[1] المصدر السابق، ص213.

[1] المصدر السابق، ص218.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: صيرورة التاريخ عند هيجل

تمهيد:

يعتبر التاريخ أول العلوم الانسانية انفصالا عن الفلسفة محددا بذلك مجال موضوعه ألا وهو الحادثة الانسانية الماضية، إذ نجد مفهوم التاريخ يتغاير ويتباين من فيلسوف إلى آخر بحيث يحاول كل فيلسوف من خلال بحثه في فلسفة التاريخ استشراق مستقبل بالدعوة إلى الماضي ناقدا وفاحصا وبالتالي فهو يستدل ويستنتج خاصة إذا تعلق الأمر بتفسير حركة التاريخ عند الألماني هيجل، لأننا نتناول فلسفة التاريخ عنده كأننا نتناول فلسفته من جميع جوانبها وليست نظرية تاريخية فحسب ومنه نتساءل:

ما مقصد هيجل من التاريخ؟ وما أنواع؟

وما هي العوامل المحركة للتاريخ؟

وما دور كل من العقل والحرية والروح في التاريخ؟

المبحث الأول: مفهوم التاريخ وأنواعه عند هيجل

لقد كان لتاريخ أو فلسفة التاريخ أهمية بالغة في فكر الفيلسوف الألماني هيجل، وأبرز دليل على ذلك من خلال جمع هيجل بين الفلسفة و التاريخ. الأمر الذي يدفع بنا إلى التساؤل حول هذا الموضوع: ما التاريخ عند هيجل؟ وما أنواعه يا ترى؟

في اللغة الألمانية كلمتان "للتاريخ":

1/ الكلمة اليونانية historiq والبحث _ المعرفة_ العلم التفسير المكتوب للبحث _ الرواية _ تاريخ الأحداث من الكلمة historien: " يبحث، يرتاد " وقد دخلت اللغة الألمانية عن طريق اللغة اللاتينية في القرن الثالث عشر بكلمة historie.

والمعنى الأصلي لكلمة "التاريخ " قريب من معنى كلمة "التجربة "، ويميل هيجل إلى استخدامها لتعني compirie أكثر من استخدمها بالمعنى التخصيصي الذي يعني التجربة التاريخية والأحداث.

والكلمة الثانية هي geschichte (قصة، نشأت، عمل، تاريخ) وهي كلمة ألمانية قومية، وهي مشتقة من الفعل geschechen (يعمل ــ يحدث ــ يقع) وهي بذلك تعني أصلا "حدث، سلسلة أحداث " لكنها ابتداء من القرن الخامس عشر تساوت مع كلمة التاريخ historie وأصبحت تعني الرواية أو التقرير.

ومع نمو البحث التاريخي و المعرفة التاريخية في القرن الثامن عشر تعني بصفة خاصة عند "هردر" – التاريخ بوصفه بحثا منظما للأحداث التاريخية وهي الكلمة التي استخدمها هيجل "للتاريخ"،[1] إذن يرى حسب التعريف أن موضوع التاريخ له أشكال متعددة إلا أنها تؤدي جيعا إلى غرض واحد والذي يكون نتيجة إرهاصات عاشتها الإنسانية في الماضي من ازدهار وتقدم و تطور لمختلف أشكال وأنماط الحياة المختلفة.

[1] ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص23.

يـرى هيجـل أن المنطـق الـذي يحكـم مجريـات الواقـع ووقـائع التـاريخ لـيس منطـق أرسـطو*، وإنمـا يقـترح هيجـل الـديالكتيك (الجـدل) وهـو منطـق التنـاقض، وقـد فسـر هيجـل سـير التـاريخ كتقـدم ديـاليكتيكي وسـند منطـق التـاريخ وفقـا لـذلك علـى صـراع الأضـداد إذا تكشـف الـروح عـن نفسـها علـى وقـائع التـاريخ مـن خـلال الصـراع، ومـن ثم فـإن الـديالكتيك أو الجـدل هـو سـر حركـة التـاريخ ومنطـق الكشـف عـن تتبـع الوقـائع، فهيجـل يـرى كـل مرحلـة تسـير تنطـوي علـى التـوتر بـين قـوى مضـادة كـل مرحلـة تصـارع الأخـرى ويكـون ذلـك في كـل النـواحي ويـزداد التـوتر ويخلـف أزمـة ويرتفـع إلى مسـتوى الصـراع الـذي يـؤدي في النهايـة إلى الصـدام الـذي يـدمر الطـرفين وهنـا ينتهـي التـوتر بـين الطـرفين وتحصـل طفـرة علـى مسـتوى جديـد وهـذا السـبب بتسـمية الـديالكتيك (الجـدل) حيـث الفكـرة ونقيضـها ثم المحصـلة (التركيـب) الـتي تصـبح بـدورها الفكـرة الجديـدة وهكـذا فكـل تحـول كبـير يتميـز بطفـرة ثوريـة واسـعة وفي كـل حـال تسـير الروح أو الفكرة العالمية خطوة أقرب إلى تحقيق الذات[1].

إذ نجـد أن كـل مـا يحـدث في التـاريخ يحـدث بـإرادة الإنسـان، وهـذه الإرادة تعتـبر أفكـار الإنسـان تعـبر عـن نفسـها بالعمـل و التـاريخ كفكـر فإننـا نجـده لابـد أن يفحـص لا في صـلة الماضـي وحـده بـل تعتـبره أيضا عصر يحتوي في المستقبل على خفايا تطوره أو بذور المستقبل وهذا الأمر ينبغي عدم تجاهله.

يقـول "ول ديورانـت": " إن التـاريخ _ عنـد هيجـل _ حركـة منطقيـة (جدليـة) و هـو في الغالـب سلسـلة مـن الثـورات، يسـتخدم فيهـا المطلـق الشـعوب أثـر الشـعوب والعبـاقرة أدوات في تحقيـق النمـو والتطـور ونحـو الحريـة)[2]، والمقصـود منهـا التـاريخ هـو مجموعـة أو قيـام سلسـلة مـن الثـورات الـتي يقـوم بهـا الشـعوب والـتي تقـوم مـن أجـل التغيـير مبـدأ الحيـاة بحيـث لا يوجـد شـيء ثابـت، ويسـتخدم في هـذه الثـورة نـاتج التطـور الـذي تحققـه أو حققتـه نتيجـة ذلـك، بحيـث نجـد في كـل مرحلـة مـن مراحـل التـاريخ تنـاقض بـين أطـراف ولا يسـتطيع حـل هـذا التنـاقض سـوى صـراع الأضـداد فالتـاريخ هـو نمـو الحريـة وتطورها.

---

* منطـق قـائم علـى قـوانين الفكـر وخاصـة الذاتيـة وعـدم التنـاقض فـذلك أي منطـق أرسـطو يعـبر عـن سـتاتكية العقـل، ومـن ثم فهـو قاصـر علـى الكشف عن ديناميكية الوجود وحركة التاريخ

[1] أحمد بن نعيمي: فلسفة التاريخ عند هيجل، كلمة للنشر والتوزيع، لبنان، 2015، ص ص 58، 59.

[2] ول ديورانت: قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 185.

إذا اعتبرت هذه نظرة هيجل للتاريخ باعتباره مسرحا للجدلية وسعيا للرقي بالوعي و الوصول إلى الحرية، فهو يرى أن التاريخ هو مسار يعبر عن التقدم من خلال الشعور بالحرية وهو لا يرى أن الحروب والصراعات بين الأمم ضرورية للتقدم فحسب، بل إنه يرى أهم فترات الرخاء و الهناء و السلام الخالية من التناقض ليست عصورا تاريخية ولا تعتبر مرحلة تاريخية أثناء عرض مراحل التاريخ[1].

كما نجد التاريخ ينبثق كرواية للأحداث وفي نفس الوقت كأعمال وأحداث تاريخية فالمجتمعات التي لا تكتب التاريخ ليس لها تاريخ، فالأحداث التاريخية تتطلب أن تكون على وعي ذاتي ودراية بها تكشف عن نفساها في الكتابة التاريخية، ومنه نستخلص ثلاثة أنواع لكتابة التاريخ _ أو منهاج دراسة التاريخ_ وهي كالآتي:

1/ **التاريخ الأصلي**: والمقصود به ذلك التاريخ الذي يكتبه المؤرخ و هو يعيش "أصل الأحداث ومنبعها، فهو ينقل ما يراه أمامه أو ما سمعه من الآخرين كما هو"[2]، معنى هو ينقل ما يرى في تلك الأحداث بحذافيرها كما وقعت أمام عينيه أو على حسب ما تم روايته له أو نقل إليه بحيث ينقله بتفاصيله و يجعلنا نعيش الأحداث و كأننا مررنا بها أو تعرضنا لها ، أي يقوم بتجسيدها في تصورنا العقلي، حيث نتصورها في عقولنا تماما.

ومن أهم خصائص هذا النوع ما يلي:

أ_ يقوم المؤرخ برواية الأحداث التي عاشها، و بالتاي فإن روح المرخ تصير هي نفسها روح العصر.

ب_ أن تكون الفترة التي يكتبها المؤرخ عادة قصيرة.

ج _ يهتم المؤرخ برواية أحداث منفردة تتعلق بأشخاص وأمور أخرى.

د _ يقتصر الراوي في رواية الأحداث على ملاحظاته الشخصية أو الملاحظات الحية التي سمعها.[3]

---

[1] أحمد بن نعيمي: فلسفة التاريخ عند هيجل، مرجع سابق، ص 60.

[2] هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، مج1، مصدر سابق، ص 32.

[3] المصدر نفسه، ص 33.

ويقـدم هيجـل أمثلـة عـن مجموعـة مـن المـؤرخين اتبعـوا هـذا المسـلك في معالجـة التـاريخ، فيقـدم أسمـاء مثـل المـؤرخ اليونـاني و الملقـب بـأبو التـاريخ "هـيرودوت" (484_424 ق _م)، إذ يقـول هيجـل: "....فهـم بسـاطة قـد نقلـوا مـا حـدث في العـالم مـن حـولهم إلى عـالم التمثـل العقلـي، وعلـى هـذا النحـو نجـد ظـاهرة خارجيـة تـترجم إلى تصـور داخلـي(...) وفي مثـل هـذا اللـون مـن التـاريخ و هـو التـاريخ الأصـلي لابـد مـن اسـتبعاد الأسـاطير والأقاصـيص الشـعرية والـتراث الشـعبي لأنهـا ليسـت إلا صـورا غامضـة معتمـة من فهم التاريخ ومن ثم فهي تنتمي إلى الأمم التي لم يستيقظ وعيها تماما"[1].

ومـا نـراه هنـا نجـد هيجـل يـرى بضـرورة اسـتبعاد الآراء أو الأحـداث الخرافيـة والأسـطورية لأنـه رأى بأنهـا يكتسـيها الغمـوض ولا تـؤدي إلى فهـم التـاريخ بشـكل جلـي وواضـح، إذ اعتبرهـا وشـبهها بالشـعوب البدائيـة الـتي لم تنمـو ولم تتطـور، إذ يـرى هيجـل أنـه هنـاك تعـيش التـاريخ و هـي جـديرة بالدراسـة التاريخيـة أما الشعوب البدائية و التي لا تمتل وعيا بذاتها فهي ليست من اهتمامات التاريخ[2].

"فالتـاريخ الأصـلي إذن تـاريخ حـي و مباشـر يصـف فيـه المـؤرخ الواقـع الـذي عاشـه و سـاهم فيـه، و لهـذا فهـو مقيـد بإطـار الحـدث ولا يتجـاوزه ومثـال هـذا الصـنف مـن التـاريخ شـهادات أبطـال المعـارك والقـادة الـذين يرسمـون غايـاتهم وكأنهـا غايـات التـاريخ، ومـن هنـا كـان التنـاقض ظـاهر في أحـاديثهم وشهاداتهم"[3].

كمـا نجـد هيجـل سمـى التـاريخ الأصـلي بسـمة الأمانـة لمعطيـات الواقـع وأحداثـه وسـلبية المـؤرخ إزاء تلـك المعطيـات والاكتفـاء بـدور الحـارس للروايـة الواقعيـة لأحـداث عصـره مـن أجـل أن لا يقـع في أسـر الذاتيـة المنغلقـة علـى نفسـها، ومـن ثمـة يصـبح مـا يـدعي بأنـه تـاريخ أقـرب إلى أي شـيء عـدا أن يكـون تـاريخ، ويقـدم هيجـل مثـالا عـن هـذه الطريقـة مـن خـلال الاستشـهاد بمـا كـان يحـدث في العصـور الوسـطى فيقـول: "أمـا في العصـور الوسـطى فلـو اسـتثنينا الأسـاقفة الـذين كـانوا يحتلـون مركـز العـالم السياسـي ذاتـه

[1] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 67

[2] قادة جليد: العلية في التاريخ بين ابن خلدون وهيجل، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات السياسية والفكر، الجزائر، ط1، 2013، ص 178.

[3] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص ص68، 69.

لوجـدنا أن الرهبـان احتكـروا هـذا اللـون مـن الكتابـة التاريخيـة، كمـا نجـد أنهـم كـانوا منعـزلين عـن الحيـاة النشطة بقدر ما كان المؤرخون القدامى مرتبطين بها"[1].

ولـذلك كـان شـرط الانفتـاح علـى الحيـاة العامـة شـرطا ضـروريا لكتابـة أي شـيء في التـاريخ الأصـلي حسـب هيجـل، إذ يمكـن أن تـنعكس أحـداث العصـر وروحـه علـى المـؤرخ ـ إذ لا يمكـن لـه أن يكـون منعـزلا عـن الحيـاة العامـة وغـير مطلـع علـى مـا يجـري فيهـا مـن أحـداث، ومـا يمكـن إقـراره أن المـؤرخ يكتـب لفـترة قصـيرة نسـبيا أو زمنيـا أو بمعـنى آخـر يمكـن تشـبيه التـاريخ الأصـلي بالمـذكرات الشخصـية واليومية.

2/ التـاريخ النظـري: وهـي أن المـؤرخ لا يعـيش الأحـداث الـتي يرويهـا، وإنمـا هـو يجـاوز العصـر الـذي يعـيش فيـه لكـي يـؤرخ لعصـر آخـر، أي أن المـؤرخ يسـجل أعمـال الماضـي، أي هـو يعـيش في عصـر وفي حقبـة ويكتـب أحـداث لفـترة أخـرى غـير الـتي يعـيش فيهـا ويـؤول الماضـي بنظـرة العصـر الـذي يحيـا فيـه، إذ يقـر بـذلك "يمكـن أن نسـمي الـوع الثـاني مـن التـاريخ باسـم التـاريخ النظـري والمقصـود بـه التـاريخ الـذي يعـرض بطريقـة لا تحصـر نفسـها في حـدود العصـر الـذي ترويـه، بـل تتجـاوز روح العصـر الحاضـر"[2]، أي تجـاوز العصـر الـذي يعـيش فيـه إلى عصـر آخـر فـيروي أحـداثا موافقـة لم يشـهدها ولم يعـش أصـلها، ويتفـرغ هـذا التاريخ النظري إلى أربعة أقسام أساسية وهي:

1ـ **التـاريخ الكلـي**: ويتقـرب كثـيرا مـن التـاريخ الأصـلي ـأي الطريقـة الأولىـ إذ يسـجل تـاريخ شـعب مـا أو بلـد مـا، علـى أسـاس أعمـال المـؤرخين[3]، معـنى هنـا يصـبح أو يعتمـد المـؤرخ علـى الأعمـال الأصـلية للمـؤرخين السـابقين أي يقـوم بسـرد أحـداث أو أخبـار لحـوادث وقعـت في الماضـي، محـاولا إبرازهـا في صـورة وكأنهـا وقعـت في عصـرها وشـهدها يقـول: "...وفي هـذه الحالـة تكـون معالجـة المـادة التاريخيـة هـي العمـل الرئيسـي للمـؤرخ وهـو يقبـل علـى مهمتـه بروحـه الخاصـة وهـي روح تتميـز عـن روح المضـمون الـذي يعالجـه، ومـما لـه اعتبـار هـام في مثـل هـذا اللـون مـن الكتابـة التاريخيـة المبـادئ الـتي يـرد إليهـا المؤلـف بواعـث ونتـائج

[1] المصدر السابق، ص 71.

[2] السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي، لبنان، ط1، ص23.

[3] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 71.

الأعمـال والأحـداث الـتي يصـفها وكـذلك الوقـائع الـتي تحـدد شـكل روايتـه هـذه المعالجـة النظريـة ومـا تقتضـيه من إظهار مهارة تتخذ عندنا معشر الألمان أشكال كثيرة متنوعة"[1].

ويـرى هيجـل هنـا أن المـؤرخ يقبـل علـى توثيـق الأحـداث وكتابتهـا بروحـه الخاصـة ولـيس بـروح المضـمون الـذي يتطلبـه العصـر الـذي يـؤرخ لـه، أي غيـاب روح العصـر الـذي يـؤرخ لـه، إذ رأى بـأن الألمـان يمتلكون أشكال متعددة ومتنوعة من المبادئ التي يفسرون بها أو يكتبون بها التاريخ ودراستهم له.

2_ التـاريخ العملـي أو البراغمـاتي: يمكـن اعتبـاره الجانـب البراغمـاتي مـن التـاريخ.. إن صـح التعبـير، والـذي يحـاول أن يتمثـل الماضـي في الحاضـر، ويسـتمد منـه دروسـا للحاضـر[2]، فـنحن نـدرس التـاريخ لتحسـين أوضـاعنا في الحاضـر وللاعتبـار مـن دروس الماضـي فالتـاريخ هـو أحسـن معلـم للشـعوب والأفـراد على حد سواء.

يقـول: "فحـين يكـون علينـا أن نـدرس الماضـي وأن نشـغل أنفسـنا بعـالم بعيـدا عنـا فـإن حاضـرا يبـزغ أمـام الـذهن ناتجـا عـن نشـاطه الخـاص كمـا لـو كـان مكافـأة للـذهن علـى الجهـد الـذي يبذلـه والواقـع أنـه مهمـا تعـددت الأحـداث وتنوعـت فـإن الفكـرة الـتي تتغلغـل فيهـا أي مضـمونها العميـق والرابطـة بينهـا واحـدة"[3]، بمعـنى نحـن لا نـدرس الماضـي رغبـة في معرفـة أحداثـه أو الاطـلاع عليـه أو تفسـيره وإنمـا الهـدف الأساسـي والرئيسـي هـو اسـتخلاص الـدروس الماضـية والـتي يمكـن أن نسـتفيد منهـا في الحاضـر أي استخلاص العبر والمبادئ والقيم والدروس الأخلاقية من الماضي.

ولكـن هيجـل يـرى أن هـذا اللـون مـن الكتابـة التاريخيـة لا يمكـن أن يحقـق هدفـه، إذ يـرى أنهـا أسـاءت إلى الشخصـية العظيمـة عنـدما حاولـت أن تتعقـب البواعـث الخفيـة الـتي تكمـن وراء الوقـائع الحقيقيـة للتـاريخ[4]، بمعـنى أنـه لا يمكـن أن تنقـل مـن التـاريخ ، لأن التـاريخ في نظـر هيجـل لا يعيـد نفسـه فكل مرحلة تاريخية لها ظروفها الخاصة بها.

---

[1] ، المصدر السابق، ص 72.

[2] المصدر نفسه، ص 71.

[3] المصدر نفسه، ص72

[4] المصدر نفسه، ص 73.

3_ التـاريخ النقـدي: وهـو الـذي لا يعـرض وقـائع التـاريخ نفسـها وإنمـا يقـوم بعـرض الروايـات التاريخيـة المختلفـة، ثم يقـوم بنقـدها وفحصـها ودراسـتها، مـن أجـل الكشـف عـن معقوليتهـا وحقيقتهـا، واكتشـاف حقائق جديدة من خلال وقوفها على يقظة المؤرخ وحدة ذهنه.

وفي هـذا يقـول هيجـل:"...وهو يسـتحق أن يـذكر علـى أنـه نمـط الدراسـة التاريخيـة السـائدة الآن في ألمانيـا أكثـر مـن غـيره وهـذه الطريقـة لا تعـرض علينـا التـاريخ نفسـه، ولـذا فربمـا كـان مـن الأوثـق أن نسـميها تـأريخ التـاريخ، لأنهـا نقـد للروايـات التاريخيـة ودراسـة حقيقتهـا ومعقوليتهـا والصـفة المميـزة لـه مـن حيـث مـا هـو كـائن ومـا ينبغـي أن يكـون تكمـن في حـدة الـذهن الـتي يتمتـع بهـا الكاتـب والـتي تمكـن مـن أن ينتزع من الوثائق أشياء ليست موجودة في الذهن"[1].

ونـرى في قولـه يقـر بـأن التـاريخ النقـدي هـو الـنمط السـائد في ألمانيـا إذا سـيطر تمامـا في نمـط الدراسـة واسـتحوذ علـى كتـابتهم التاريخيـة لـذا نـرى أنـه كـان مـن الأجـدر أن يطلـق عليـه اسـم تـأريخ التـاريخ إذ نجـد الصـفة الـتي تجعلـه مميـز ويتمتـع بهـا المـؤرخ أنـه يقـوم مـن خـلال نقـد للروايـات التاريخيـة أن يبتكـر الأشياء ويخرج منها حقائق لم تخطر في الذهن في وقتها.

كمـا نجـد هيجـل لا يتـوانى في ذكـر سـلبيات هـذه الطريقـة في التعامـل مـع التـاريخ فهـي لا تعـرض التـاريخ نفسـه ولـذلك ككانـت عبـارة عـن ذريعـة لتقـديم كافـة التشـويهات المضـادة للتـاريخ، لـذلك نجـد هيجـل فيمـا يتحـدث عـن هـذا النـوع مـن التـاريخ عنـد الفرنسـيين فإنـه يشـيد بطـرحهم في هـذا النـوع مـن التـأليف لأعمـال كثـيرة تجمـع بـين النظـرة الصـائبة والعمـق، لكـنهم لم يحـاولوا أن يعرضـوا مجـرد عمليـة نقديـة علـى أنهـا تـاريخ حقيقـي، إنمـا عرضـوا أحكـامهم في صـورة بحـوث نقديـة، وهـم في نظـره بـدل أن يسـتخدموا التاريخ بالنقد قاموا بتوظيف التاريخ لصالح أحكامهم التي وصفوها بأنها نقدية[2].

4_ **التـاريخ الجزئـي:** وهـذا النـوع يحمـل خاصـيتين متعارضـتين آنـا وهـي الخاصـة الجزئيـة والخاصـة العموميـة، فهـو جزئـي لأنـه يتحـدث عـن جـزء مـن تـاريخ الإنسـان ولا يتحـدث عـن تـاريخ الإنسـان بمـا هـو

[1] المصدر السابق، ص ص74، 75.

[2] قادة جليد: العلية في التاريخ، مرجع سابق، ص ص 181، 182.

إنسان[1]، بمعنى يتحدث عن جانب واحد من تاريخ الإنسان ولا يتناول تاريخ الإنسان بصفة عامة أي يتحدث عن قضايا جزئية في حياة المجتمع.

ويقدم لنا هيجل مثالا عن الجوانب التي قد يتحدث عنها في مسار تطورها كتاريخ الفن والدين والموسيقى، أما الخاصية العمومية التي تظهر في المثال الذي قدمه أنه لا يتحدث عن القانون بصفة عامة او الموسيقى أو الفن عموما، في كل مراحل التاريخ وإنما يمثل المؤرخ مرحلة انتقال من الكتابة التجريبية للتاريخ إلى الكتابة الفلسفية، وهذا ما يؤكد عليه قوله: "فهذا النوع يكشف منذ البداية عن طابعه الجزئي فهو يتخذ لنفسه موقفا مجردا لكنه مع ذلك يشكل مرحلة انتقال إلى التاريخ الإنساني للعالم ما دام يأخذ بوجهة نظر عامة كما هي الحال مثلا في تاريخ الفن وتاريخ القانون وتاريخ الدين"[2]، نجد هذا النوع عند هيجل يخضع لمبادئ فكرية عامة ولهذا يرى هيجل بأنه يشكل نقطة انتقال حقيقية إلى التاريخ الفلسفي للعالم، وبهذا تنتهي أنواع التاريخ النظري الأربعة.

3/**التاريخ الفلسفي**: يرى هيجل أن هذا النوع من التاريخ يحتاج إلى شرح وتفسير أكثر من الأنواع الأخرى إذ يرى بعدم ضرورة إطالة الشرح في النوعين السابقين: إذن يرى هيجل يرى أن المؤرخ الفلسفي يستخدم النتائج التي وصل إليها المؤرخ الأصلي والمؤرخون النظريون لكي يقوم بتأويل التاريخ على أنه التطور العقلي للروح في الزمان، وذلك شيء يفلت من صناع التاريخ ومن المؤرخين الآخرين[3]، ما يمكن فهمه هو أن هذا النوع يكون نتيجة جمع بين التاريخ الأصلي والتاريخ النظري بحيث يقوم الذي يؤرخ التاريخ الفلسفي إلى التوصل إلى نتائج من خلال ما تم التطرق إليه قبله ويصل إلى نتائج لم تخطر ببال الذين سبقوه.

ويرى هيجل أنه لا يعني بهذا التاريخ سوء دراسة التاريخ من خلال الفكر انطلاقا من فكرتين:

أ_ أن البشر بحقهم الفكر أو الوعي أو العقل أو الروح، فالفكر يشوش في كل ما هو بشري.

---

[1] هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص 75.

[2] المصدر نفسه، ص76.

[3] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 40

ب_ إن التاريخ الإنساني لا يبدأ إلا مع ظهور الوعي: وبالتالي فإن المجتمعات الأولى التي كانت تعتمد على الأساطير لا تكون جزء من التاريخ الإنساني[1]، وما يقصده هيجل هنا أن البشر هم الفكر أي جعل موضوع التاريخ هو الحياة البشرية إذ ربط التاريخ منذ لحظته مع ظهور الوعي و التقدم والتطور، وألغى المجتمعات البدائية من التاريخ باعتبارها أنها كانت تعتمد على الخرافة والأقاصيص والأساطير.

يرى هيجل أن دراسة التاريخ عن طريق الفكر، دراسة غير مقنعة بالنسبة لعامة الناس إذ يكمن أن يكون تابعا للمعطيات التاريخية، أي مستخلصا من وقائع التاريخ حيث تكون هذه الوقائع أساسية على حين، في الفلسفة خلاف ذلك الشائع عنها أنها تتجه إلى عالم الأفكار التي تنتج نفسها بنفسها دون إشارة إلى عالم الوقائع فكأن الفلسفة في هذه الحالة تسير في طريق مضاد تماما لطريق الدراسة التاريخية[2].

كما نجد هيجل ينفي نفيا الاتهام الذي يوجه إلى الدراسة الفلسفية للتاريخ ويرى أنه يوجد عددا لا محدود من الاتهامات و التصورات الخاطئة التي شاعت عن علاقة الفلسفة بالتاريخ قديما وحديثا، وهنا يبدأ هيجل بتوضيح ما يقصده بالدراسة الفلسفية للتاريخ فيما يلي:

1_ الفيلسوف لا يزاحم المؤرخ في البحث عن الوقائع التاريخية و جمع المعلومات و المادة و الوثائق، وإنما هو يترك له هذه المهمة لينحصر دور المؤرخ الفلسفي في تفسير أحداث التاريخ[3]، أي تكمن مهمة الفيلسوف المؤرخ في تفسير ما وقع وما جرى من أحداث أما مهمة تقصي الأحداث وجمع الأدلة والبراهين إنما تكون من اختصاص المؤرخ.

2_ الفكرة التي تعتمد عليها الفلسفة وهي تدرس التاريخ، هي "أن العقل يسيطر على العالم"، وبهذا فإن تاريخ العلم يمثل أمامنا بوصفه مسارا عقليا، والواقع أن فكرة العقل هذه تحتل في فلسفة هيجل مكانة مركزية، ذلك أن الفلسفة بأقسامها الجدلية لا تدرس إلا موضوعا واحدا هو العقل في مجالات

[1] المصدر السابق، ص 42.

[2] أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 206.

[3] هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص 44.

مختلفة وفق العملية الديالكتيكية الشهيرة[1]، وهذا يعني أن العقل هو جوهر الكون كما أنه جوهر التاريخ، كما يمكن الإقرار بوجود العقول وحدها، فالأشياء المادية أيضا موجودة، كما نعني أيضا أن الطبيعة تتبدى أمامنا في عدد لا حصر له من الظواهر والصور الفردية، فالأنواع والقوانين هي التي تشكل العقل في الطبيعة.

3_ إذا العقل هو جوهر الطبيعة، فإنه على هذا النحو جوهر التاريخ البشري أيضا مع وجود فروقات هامة، وهي أن العقل الذي يحكم التاريخ هو عقل واعي بذاته، أما حركة نظام الشمس كما يرى هيجل تتم وفقا لقوانين العقل العامة في ظواهر الطبيعة[2]، والمقصود من هذا أن عقل الإنسان عقل يدرك ويعرف ويعي ما يفعل أي هو عقل واع بنفسه لما يفعله، أما الظواهر الطبيعية فهي تكون نتيجة لقوانين يضعها العقل ومن خلالها يدرك الحركة الكامنة من وراءها.

4_ أن فكرة العقل يحكم التاريخ، هي نتيجة دراسة تاريخية في بداية الدراسة الفلسفية للتاريخ التي بررها بقوله: "لقد حدث لي أن عرفت النتيجة، لأنني قطعت ميدان الدراسة كله، فنحن إنما نستخلص استنتاجا من تاريخ العالم حينما نقول أن تطوره كان مسارا عقليا يشكل مجرى العقل الضروري لروح العالم"[3]، ونستنتج من هذا القول أن تاريخ العالم أو القول بتطوره من بدايته إلى نهايته اتخذ مسارا عقليا والذي أدى إلى تشكيل روح العالم من خلاله ألا وهي العقل، أي نحن مجبرون على أن ندرك التاريخ كما هو.

إن ما يحقق تقدم البشر هي تناقضات والصدامات التي تؤدي إلى حالات مختلفة أما الحقبات السعيدة، أي تلك التي يسود فيها الانسجام فهي ليست حقب تاريخية بالمفهوم الهيجلي[4]، أي أن الخلاف و الصدام والصراعات التي تحدث بين الأفراد هي التي تؤدي بنا إلى الانتقال من حقبة إلى

---

[1] إمام عبد الفتاح أمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص 21.

[2] هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص 44.

[3] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 45

[4] رينيه سيرو: هيجل والهيجلية، مرجع سابق، ص 41.

أخـرى وتحقيـق السـعادة. إذا مـن وجهـة نظـر هيجـل أن الحقـب الـتي كـان يسـودها التفـاهم والانسـجام لا يمكن أن نصنفها ضمن الحقب التاريخية.

نسـتنتج في النهايـة أن التـاريخ بمفهومـه العـام والفلسـفي لـيس مجـرد عمـل إنسـاني فقـط وإنمـا هـو عمـل كـوني، عمـل يتـيح لنـا تحقيـق أسمـى معانيـه، وهنـاك عـدة نقـاط أوردهـا هيجـل في هـذا الأمـر نستخلصها كالآتي:

أن هيجـل لا يريـد أن يبـدأ عرضـه للتـاريخ بالحـديث عـن الطبيعـة، كـذلك يصـر علـى أن الطبيعـة والتـاريخ أمـران منفصـلان، وكـل واحـد منهمـا عمليـة أو مجموعـة عمليـات قائمـة بـذاتها، ولكـن عمليـات الطبيعة ليست من قبيل التاريخ وليس هناك تاريخ للطبيعة، لأن عمليات الطبيعة دائرية.

إن الطبيعـة في حركـة دوران وتكـرار مسـتمرين، هـذه الحركـات لا دخـل لهـا في أعمـال الإنشـاء والبنـاء، وهـذه الحركـة الدائريـة تنـتظم مـن عناصـر منتظمـة تـذهب إلى أن الكائنـات السـفلى تتطـور إلى كائنـات عليـا مـع الـزمن وهـذا مـا ورد في قولـه: "إن هـؤلاء الـذين يؤمنـون يحسـبون خطـأ مـنهم أن الترتيـب المنطقـي هـو الترتيـب الـزمني، ولكـن التـاريخ لـن يعيـد نفسـه ونشـاط الأحـداث التاريخيـة لا يتخـذ شـكلا دائريا وإنما يتخذ حركة ملتوية تصاعدية"[1].

ونسـتنتج مـن القـول أن هنـاك مـن يعتقـد بـأن الترتيـب المنطقـي هـو الترتيـب الـزمني ولكـن هيجـل ينفـي هـذا الأمـر ويطلعنـا بـأن التـاريخ لا يعيـد نفسـه أي نفـس الأسـباب لا تـؤدي إلى نفـس النتـائج وأن التـاريخ بأحداثـه لا يأخـذ دائـرة، وإنمـا يأخـذ منحـنى تصـاعدي مـن الأسـفل إلى الأعلـى، وبنـاء علـى مـا تقـدم نسـتخلص أن طبيعـة التـاريخ عنـد هيجـل هـي طبيعـة فكريـة، فهـو يقـوم بعـرض المراحـل التاريخيـة والتطوريـة للعقـل ذاتـه، فالعمليـة التاريخيـة في صـميمها عمليـة ديناميكيـة منطقيـة، والانتقـال مـن مرحلـة إلى مرحلة تاريخية أخرى هو انتقال يحدث في سياق الزمن.

[1] كولنجوود: فكرة التاريخ، ج3، تر: محمد بكير خليل، لجنة التأليف للترجمة والنشر، 1961، ص 213.

المبحث الثاني: العوامل المحركة للتاريخ

بما أن التاريخ في ذاته يعبر عن حركة عقلية واعية كما أنه أيضا عملية تطور المنطق التاريخي فإن هناك أدوات تحرك هذه التطور.

1/ الأفراد ودورها في التاريخ عند هيجل:

ليس الأفراد إلا وسائط لتحقيق التاريخ نوعيهم تتحكم في مصالحهم الخاصة، غير أن هناك بعض الأفراد يرتقون فوق مصالحهم الخاصة، إذ يرى هيجل أن كل فرد من أفراد الدولة يقوم بمهمته فالكل يقوم بوظيفته من أجل تحريك عجلة التاريخ[1]، فالمتأمل في حركية التاريخ الهيجلي يدرك أن هناك طاقة كامنة في الأفراد والمجتمعات والدول ولدى العظماء، تقوم بدور المحرك، وهم في نهاية المطاف أدوات ووسائل من أجل تحقيق هذه الطاقة[2]، والمقصود هنا أن كل فرد في الدولة يقوم بها، ويمتلك كل فرد طاقة تحركه ودوافع تدفع به إلى القيام بوظيفته على أتم وجه، كما يعتبر هيجل هؤلاء هي الأدوات والوسائل التي تؤدي إلى تحقيق المراد الوصول إليه فبفضلهم تتحقق مبتغيات المجتمع والدولة.

ولهذا يسمي هيجل القادة الذين يبادرون بالأعمال الجليلة بالأبطال أو العظماء أو الشخصيات المهمة البارزة عبر مراحل التاريخ المختلفة، ويقر بأن هؤلاء الأفراد هم أبطال التاريخ العالمي، إذ أن أفعالهم تنبثق من مصالح شخصية لكن هذه المصالح تتوحد مع المصلحة الكلية[3]، وكأن هيجل هنا يريد لنا صورة أولية عن الإنسان المجرد والخارج عن علاقات المجتمع وعن الإنسان، بحيث يفصل بين الشخصية العظيمة وباقي الأشخاص.

فالإنسان الذي يقصده هيجل هو الذي يحيا ضمن الجماعة ولكن دون أن يكون اجتماعيا بمعنى الكلمة، وبما أن وجوده الواقعي تحول إلى وجود سياسي لأنه يعمل في نطاق الدولة ويحقق من

---

[1] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 116.

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص45

[3] المصدر نفسه، ص 46.

الأفعال ما يخلق التاريخ[1]، بمعنى أن هذا الإنسان يعيش في مجتمع ما ولكن ليس ابن مجتمعه بالمعنى الصرف، وكأن وجوده ينحصر في تقديم أعمال للدولة وهذه الأعمال هي من خلال ما تحققه يتشكل لنا التاريخ، وكأنه سبب مهم في بناء التاريخ ولكن من دون إدراك لهذا الأمر، حيث يقول: "إن هذا العقل يحرك دوافع الأفراد والخاصة لكي يتحرك التاريخ"[2]، وكأنه هنا يجعل العقل هو من يدفع الأفراد ويخلق في ذواتهم دوافع تحركهم الأمر الذي يؤدي بدوره إلى حركية التاريخ.

ويصنف هيجل هؤلاء الأفراد إلى أربعة أصناف:

أ/ المواطن: وهو الإنسان العادي الذي تتفق إرادته مع إرادة الدولة فهو يتكيف مع الأحلاق السائدة في مجتمعه، بمعنى أن هذا الإنسان رغبته تكون منسجمة مع متطلبات الدولة التي يحيا فيها وتنسجم أخلاقه مع الأخلاق السائدة في مجتمعه[3]، كما أن هذا المواطن ليس له إرادة مستقلة فهو لم يدرك وجوده الذاتي ولم يعي حريته، ونلاحظ أن تعريف المواطن عند هيجل لا ينسحب على المواطن الشرقي الذي لا يتمتع بالإرادة ولا بالحرية ولا بالشخصية الذاتية، أي أن تعريف هيجل لا يستثني الإنسان الشرقي والذي يكون محروم من جميع حقوقه.

ب/ الشخص: هو الذي يمكن أن يتجاوز أخلاق مجتمعه ويتصرف بحسب وعيه بحريته الذاتية، فقيمه وأخلاقه تعارض ما هو سائد في مجتمعه من قيم وأخلاق[4]، أي أن هذا الشخص يتصرف وفق معتقداته الشخصية ووفق ما تمليه عليه قناعاته الشخصية بحيث لا تتماشى أخلاقه مع أخلاق مجتمعه الأمر الذي يجعله استثناء في مجتمعه، ولهذا يضرب لنا مثالا بسقراط (**471–399 ق.م**) الذي رفض الأخلاقيات السائدة في مجتمعه على الرغم من أنه استمر في أداء واجباته كمواطن، بحسب هيجل هذا النموذج لا وجود له في العالم الشرقي.

---

[1] هيجل: فينومينولوجيا الروح، مصدر سابق، ص 117.

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص101

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] هيجل: مبادئ فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 365.

ج/ البطـل: إن التـاريخ هـو حركـة ديالكتيكيـة تتـداول عليـه الأمـم والعبقريـات هـي أدوات بيـد المطلـق، فعظمـاء التـاريخ ليسـوا بمنتجـي المسـتقبل بقـدر مـا هـم منتقـدين، ومـا يخرجـون بـه يتبنـاه روح العصـر فـالعبقري يضـع حجـرا علـى كومـة مـن الحجـارة الـتي كدسـها السـابقون عليـه[1]، ويـرى هيجـل أن أبطـال التـاريخ ليسـوا هـم مـن أنتجـوا التـاريخ بـل هـم مـن يقـوم بالنقـد ويخرجـون أشـياء يبـنى مـن خلالهـا روح العصـر وتتبنـاه، فالبطـل هـو الـذي يضـيف مـا أنتجـه إلى مـا تم إنتاجـه قبلـه أو يضـيفه إلى سلسـلة مـا تم إنتاجـه، ومـن أمثلـة هـؤلاء الأبطـال عنـد هيجـل "الاسـكندر الكبـير ويوليـوس قيصـر، ونـابليون بونابـارت وعظمـة هذا الأخير –نابليون– لم تكن في غزو ألمانيا فقط وإنما في تأسيس الدولة الحديثة الأولى في العالم[2].

وهكـذا يـرى هيجـل أن أبطـال التـاريخ هـم رجـال عمـل وسياسـة وليسـوا مـن نـوع الفلاسـفة والفنـانين، ولـيس لـديهم طاقـة علـى تأمـل الفكـرة الـتي يعملـون علـى تحقيقهـا ولكـن لـديهم حـدس ولـديهم الشـجاعة لتحقيـق مـا يفرضـه العقـل والتـاريخ[3]، أي أن الابطـال يقومـون بالتنفيـذ ولـديهم القـدرة علـى ذلـك وفـق مـا يمليـه العقـل علـيهم والتـاريخ، أي هـم رجـال ميـدان علـى عكـس الفلاسـفة الـذين يتبعـون مـنهج التأمل في الفكرة بل الابطال يعملون على تجسيد هذه الفكرة على أرض الواقع

د/الضـحية: وهـو الـذي تحركـه الظـروف الخاصـة فـلا يتبـع إرادة مجتمعـه وإن هدفـه ينحصـر في نجاحـه وسـعادته الخاصـة وهـؤلاء الأشـخاص التـاريخيين كـان مصـيرهم بـائس جـدا، فحيـاتهم كلهـا كانـت عمـل وجـد واجتهـاد وعنـاء، وعنـدما يبلغـون مقصـدهم يسـقطون[4]، ومعـنى هـذا أنـه بعـد مـا يصـل الأبطـال إلى مبتغـاهم فـإن مـآلهم هـو الانهيـار والسـقوط، بحيـث أننـا نجـد أنـه قضـى حياتـه في المثـابرة والاجتهـاد مـن أجـل تحقيـق سـعادة حاليـة أمـا مصـيره فيمـا يعـد هـو الانـدثار، فنـابليون بونابـارت مـات في منفـاه (سـانت هايلانـة) كئيبـا حزينـا وحيـدا رغـم مـا حققـه الامبراطوريـة الفرنسـية مـن منـاطق نفـوذ وإعـادة تجديـد هياكـل الدولة وتحديث نظمها وطرق سيرها ورغم ذلك تنكر له الفرنسيون ونفوذه.[5]

---

[1] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 101

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] توماس كاريل: في الأبطال وعبادة الأبطال، تر: تسير شيم، دمشق، 1970م، ص 21.

[4] هيجل: العقل في التاريخ، ص101.

[5] المصدر نفسه، ص ص 101، 102.

وما يمكن قوله أن كل ما تم إنجازه في العالم إنما هو حصيلة المادية الخارجية والتحقق العملي والتجسيد الحي لأفكار عاشت في عقول عظماء عاشوا في هذا العالم والذين اعتبروا روح التاريخ العالمي كله.

ثانيا: النظرية الحتمية الاجتماعية في البطولة

يعتبر هيجل من بين القائلين بنظرية الحتمية الاجتماعية إذ نجد أهم حادثة وقعت له مع البطولة هي رؤيته لنابليون وفحوى هذه النظرية هي القناعة الموجودة لديه بأنه لو لم يكن هناك نابليون لكان من الضروري أن تعبر الروح الميتافيزيقية عن حركيتها بظهور شخص آخر ينفذ تعاليم "دهاء العقل"[1]، نرى هنا تأثر هيجل الواضح بنابليون بحيث أنه أقر بأنه لولا وجوده لكانت الروح الميتافيزيقية قد عبرت عن نفسها في شخص آخر غيره، بحيث اعتبره هيجل بأنه روح العالم، فالأبطال والعظماء كل منهم له دور يقوم به.

ويرى بأن العظيم يستطيع أن يدرك بوعيه حركية التاريخ في زمانه ومحيطه أي مجتمعه المحيط القريب منه وكذلك في بقية أنحاء العالم لذلك فإن فعله سيكون تجسيد لإرادة الروح، حيث تستدعيه اللحظات الحاسمة التي تمثل الفترات الانتقالية في التاريخ ويتوفر لديه إدراك حدسي غامض بما سيكون عليه النظام العالمي أو نظام مجتمعه المحلي ووفقا لحدوسه يترجم ما ينبغي فعله سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا[2]، ومعنى هذا أن العظيم في نظر هيجل سوف يدرك من خلال ما يملكه من مكتسبات وحدس فإنه ستكون لديه نظرة من خلال الأحداث ما سوف يقع من حوله سواء على مستوى مجتمعه أو العالم، مما يؤدي به إلى ترجمة ما تفطن له إلى أفعال على مستوى مختلف المجالات.

ويضيف هيجل أن هذا العظيم قد يكون غير واع بأهداف الروح ولكن دهاء العقل الذي يتبطن مسار التاريخ يجعل البطل يحققه بأفعاله الروح ومقاصدها النهائية لأن الرجل العظيم في نظر هيجل نقطة كامنة في رحم الزمان قذفت بها الروح الباطنية وليحدث ميلاده تغييرا شاملا في كل ما

[1] المصدر السابق، ص 36

[2] سيدني هوك: البطل في التاريخ، تر: مروان الجابري، دار المعارف، بيروت، ص 226.

حولـه[1]، يبـدو مـن خـلال مـا سـبق أن الرجـل العظـيم لا يظهـر إلا عنـدما تكـون بحاجـة إليـه، وبوجـوده يحصـل التغيـير فـالأمر لا يعـني بتحديـد شخصـه وسـيرته وأفعالـه ولكـن العـبرة تكـون بالنتـائج المترتبـة عـن البراء التي ينادي بها، فالأعمال لا بد أن تساعد على تحرير القوة الانتاجية وتسد حاجات المجتمع.

كمـا نجـد نظريـة الحتميـة الاجتماعيـة عنـد هيجـل تؤكـد أن ظهـور شـخص دون سـواه في زمـن مـا وفي بلـد معـين لـيس محـط الصـدفة لأنـه حـتى وإن تم القضـاء علـى هـذا الشـخص بـالعجز أو المـوت أو الاختفـاء فحاجـة المجتمـع ماسـة إلى بـديل عنـه[2]، بمعـنى أنـه ونتيجـة لظـروف مـا فـإن هـذا الرجـل العظـيم سيظهر سواء هو نفسه أو غيره فإنه سيظهر فالحتمية التاريخية تؤدي إلى هذا الأمر.

وهـذا مـا يؤكـده إذا أن ظهـور العظـيم هـو محطـة قواعـد الاجتماعيـة وفكريـة وروحيـة، فـالأمر الـذي يجعـل نظريتـه –هيجـل- تنسـق مـع مذهبـه في فلسـفة التـاريخ ولكنهـا جعلـت العظـيم أسـير قـوى حتميـة وغائيـة في المجتمـع لـذا بـدا دوره غـير متناسـب مـع الأحـداث،، كمـا أن نظريـة هيجـل في البطولـة لم تضـع في اعتبارهـا اللاحتمـي كـأن تتـدخل عناصـر أخـرى بحيـث تـؤثر في المسـار العـالمي للأحـداث وخاصـة القـوى الموجودة في طي النسيان إلا أنه لتقدير دور البطل أو الزعيم التاريخي وجب مراعاة:

1/ لتجنـب الإدانـة الشـديدة لأفعـال الرجـل العظـيم إذ يقـول المثـل الصـيني "الرجـل العظـيم مصـيبة عامـة لأن الأبطال قد شقوا طريقهم إلى العظمة وصدارة الأحداث بالحرب أو بالقتل وسفك الدماء[3].

والمقصـود هنـا بـأن الرجـل العظـيم ابتـدأ مسـاره إلى العظمـة والـتي لا يمكـن أن يصـل إليهـا الاسـتغلال وسفك الدماء وقتل العديد وخوض الحروب والمعارك من أجل تصدر الأحداث.

ويعـد أبـرز مثـال علـى هـذا نـابليون الـذي يعتـز بـه هيجـل والـذي تسـبب في قتـل نصـف مليـون فرنسـي في الحملـة علـى روسـيا، ثم اعـتراف فيـا بعـد بـأن تلـك الحملـة كانـت مـن أكـبر أخطائـه، الأمـر نفسـه نجـده لـدى عظـيم النازيـة في ألمانيـا "هتلـر" الـذي أراد تطبيـق مجموعـة مـن الفلسـفات المتطرفـة مثـل فلسـفة

[1] المرجع السابق، ص 227.

[2] توماس كاريل: في الأبطال وعبادة البطولة، مرجع سابق، ص 21.

[3] سيدني هوك: البطل في التاريخ، مرجع سابق، ص227

هيجل ونيتشه ...وغيرهم، وما يمكن استخلاصه هو أن الحرب والتنازع زال بين البشر لتوقفت الحياة ومن دونها لم يظهر العظماء.

3/ الحرب كأداة مساعدة للتغيير عند هيجل:

في البداية يطرح هيجل موضوع الحرب في كتبه السياسة والتاريخية كإحدى وسائل التقدم للروح في التاريخ وكإحدى وسائل التغيير، إذ يمكن اعتبار التاريخ الإنساني برمته هو تاريخ الصراع، وأنه ليس من الممكن أن يكون المستقبل غير ذلك كما أن الحرب في أشد علامات التاريخ إذ أن في الطريق الحرب أفلت حضارات عريقة[1]، ولم يبق منها سوى آثار دالة عليها فاسحة المجال لظهور حضارات أخرى جديدة، ومن خلالها أيضا قام وتأكد التفوق الذي برز لفترة طويلة أو قصيرة نمطا من المجتمعات على رأس البشرية[2]، ما يبرز هنا أن هيجل يعتبر الحرب جزء من المجتمع إذ رأى بأن التاريخ ككل هو تاريخ قائم على الصراع، والذي يكون بين أطراف مختلفة كما أنه لا يعتبره مجرد حادثة وقعت عفوية أو صدفة، إذ أنه من خلالها فإنه يقر ببروز حضارات وإلغاء أخرى ويقر بأن هناك أسباب كثيرة هي التي تؤدي إلى قيام حروب في أي مجتمع.

ينطلق هيجل من مبدأ أساسي وسياسي جوهري في مقاربته حول الحرب وهذا المبدأ هو السيادة، لأنه يرى أن الحرب شأن الدولة وليس الأفراد، إذ يرى هيجل أن الدولة هي أكثر من أن تكون مجرد وسيلة لتنظيم سلوك مواطنيها وإنما هي تجعلهم موجودات بشرية تامة وتتغلغل في طبيعتهم[3]، يتجاوز هيجل هنا النظرة القائلة بأن غاية الدولة هي تنظيم سلوك الناس، بل يذهب إلى أبعد من ذلك من خلال قوله بأنها هي من تجعل الأفراد كائن موجود بأتم معنى الكلمة إذ أنها لا تبحث في الأشياء العرضية له بل تذهب إلى أكثر من ذلك من خلال البحث في طبيعته.

كما نجده يقر بعدم وجود فرد واحد في الدولة حرا بل لا بد أن يكون هناك مجموعة من الأفراد أحرارا كل فرد يعترف بالأفراد الآخرين، الأمر ذاته بالنسبة للدولة يقول: "لا يمكن أن تكون

---

[1] هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، مصدر سابق، ص 107.

[2] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 332.

[3] المصدر نفسه، ص587.

هنـاك دولـة واحـدة بمفردهـا، فالدولـة فـرد والفرديـة تتضـمن السـلب بطريقـة جوهرية...فالدولـة فـرد والفرديـة تتضـمن السـلب بطريقـة جوهرية...فالدولـة هـي أسـاس عضـو في المنظومـة مـن الـدول كـل منهـا لا بـد أن يعترف بالدول الأخرى"[1]

كمـا يـرى هيجـل أنـه لا يجـب أن نغـير وننظـر إلى الحـرب علـى أنهـا شـر مطلـق أو أنهـا شـيء عرضـي وسـطحي بـل يعتبرهـا مسـألة طبيعيـة وأنهـا قضـية ذات ماهيـة، حيـث يقـول: "... إذا لا ينبغـي أن ينظـر إلى الحـرب علـى أنهـا شـر مطلـق وعلـى أنهـا مجـرد حـادث خـارجي عـارض لهـا هـي نفسـها، فـإذا مـا نظرنـا لهـذه الأمـور في ضـوء الفلسـفة والفكـرة الشـاملة لأن الفلسـفة تعـرف أن العرضـي هـو مظهـر وتـرى الضـرورة قلـب ماهيتـه"[2]، كمـا يـذهب هيجـل إلى الإقـرار بـأن الحـرب سمـة أساسـية للدولـة فقـد تأسسـت بـالحرب وحافظـت علـى وجودهـا بـالحرب، واعتـبر الاعتـداءات الآتيـة مـن الخـرج هـي مجـرد مناسـبات للحـرب، فهـو يقـول: "مـن المحتمـل أن تسـعى الدولـة الـتي ظلـت في حالـة سـلام فـترة طويلـة إلى فـرض الحـرب أكثـر مـن الدولـة الـتي لم تـنعم بهـذه العدالـة"[3]، وهـو يقصـد هنـا أنـه يمكـن أن تسـعى الـدول الـتي عاشـت لفـترة طويلـة من الزمن في حالة سلم دائم نجده هي من تسعى إلى الحرب أكثر من الدول التي في حالة حرب.

إذا في نظـره أن الدولـة الـتي لـيس لهـا أعـداء في الخـارج لا يمكـن أن تصـبح دولـة بـالمعنى الصـحيح، فالدولـة لا ينبغـي فقـط أن تريـد الحـرب ولا يكفـي أن تكـون قـادرة علـى شـن الحـرب، بـل لا بـد أن تشـن الحـرب فعـلا، إذ يقـر بأنـه مـن المحتمـل ، ينشـأ مـوت الدولـة بسـبب ميولهـا السـلمية وإلى السـلام، ويـبرز هـذا الأمـر بقولـه: "فللحـرب ذلـك المغـزى الرفيـع إذا بفاعليتهـا كمـا قلـت في مكـان آخـر تحـافظ علـى الصـحة الأخلاقيـة فيـه الشـعوب في عـدم مبـالاتهم بالمؤسسـات الخاصـة، تمامـا مثلمـا أن هبـوب الريـاح يحفـظ ميـاه البحـر مـن التلـوث الـذي ينشـأ نتيجـة لفـترة طويلـة مـأن هنـاك التكاسـل لا يمكنـه أن يـدفع الأمـم إلى الأمـام بـل يـؤدين السـلام، دع عنـك السـلام الـدائم"[4]، ومنـه يتبـين أن السـلم الـدائم قـد يخنـق إرادة الأفـراد ويـؤدي

[1] المصدر السابق، ص 670.

[2] المصدر نفسه، ص 589.

[3] المصدر نفسه، ص 597.

[4] المصدر نفسه، ص 590

إلى فسادهم إذ أن التكاسل لا يمكنه أن يدفع الأمم إلى الأمام بل يؤدي إلى التراجع وفقدان السيادة والتبعية، وحجة هيجل الرئيسية هي أن المواطنون في حالة السلام تمتصهم مصالحهم وشؤونهم الخاصة فيتوقفون عن التوحد مع الدولة.

وبالتالي تعيدهم الدولة من جديد إلى الوحدة عن طريق الحرب التي تتطلب من المواطنين أن يكونوا على استعداد للتضحية بحياتهم وممتلكاتهم من أجل الدولة، ما نفهمه من القول هو أن الدولة المستعدة للحرب هي التي يمكنها أن تضمن السلم لشعبها كما نجده يدعو الأفراد إلى التضحية بكل ما يملكون من أجل الدولة ويعتبرها قمة الشجاعة من قبلهم، إذ يقول: **"**تمثل التضحية في سبيل فردية الدولة الرابطة الأساسية بين الدولة وأعضائها وهي لهذا السبب واجب عام وما دامت هذه الرابطة جانب واحد من المثالية في مقابل واقعية الموجودات الجزئية فقد أصبحت في الوقت نفسه رابطة جزئية وأولئك الموجودين فيها يشكلون طبقة خاصة بهم تتسم الشجاعة**"**[1]، إذ يرى بأن الدول تتغلب على صراعاتها الداخلية عن طريق الحروب إذ لا ينبغي أن لا تشن الحروب ضد المؤسسات الداخلية وضد سلامة الأسرة والحياة الخاصة وضد الأشخاص وقدراتهم[2].

4/دهاء العقل:

يقصد هيجل بدهاء العقل الفكرة الكلية المستترة وراء الأفكار الجزئية المتعارضة والمتصارعة التي تعبر عن المصالح الفردية التي يعمل بعضها على تحطيم البعض الآخر محققا في النهاية الهدف النهائي للتاريخ الذي هو المطلق والذي هو النهاية (العقل)[3]، ويقصد هنا بوجود بعض الأفكار الجزئية تكون متصارعة فيما بينها وتكون من خلفها فكرة كلية والتي تهدف إلى الوصول إلى المطلق وهو العقل باعتباره عند هيجل أنا تكثر في نحن ونحن مؤتلف في أنا.

إن الفرد أو الجزئي لا قيمة له بجانب الكلي فالأفراد كأفراد يذهبون ضحايا إما موتا أو نبذا وشقاء ويقابل هذا السقوط إثبات الفكرة العامة ورسوخها لدى الشعب الذي يحملها في علو وافتخار

[1] المصدر السابق، ص 591

[2] المصدر نفسه، ص 598.

[3] هيجل: فينومولوجيا الروح، مصدر سابق، 156.

ومـن أجلهـا يتصـدى لكـل العقبـات ويقـاوم كـل الغـزوات محافظـا عليهـا[1]، ومعنـاه أن الإمكانيـات التاريخيـة تنطـوي علـى أسـاس كلـي يختلـف عـن الأسـاس الـذي كانـت تقـوم عليـه البنيـة الراهنـة لهـذا الشـهب أو تلـك الدولـة وهـذا الكلـي توافـق علـى وضـعه عظمـاء التـاريخ وجعلـوا منـه غـايتهم الخاصـة والـتي بـه يحققـون غاياتهم ومطامحهم.

وفي بعـض الحقبـات تـتحطم بنيـة الـروح لـدى الشـعوب لأنهـا تكـون قـد تآكلـت وفرغـت مـن جوهرهـا، غـير أن التـاريخ الكلـي يتـابع سـيره إلى الأمـام، عنـد ذلـك تحصـل الصـدامات الكـبرى بـين المؤسسـات القائمـة ولكـن هـذه الصـدمات مضـمونا يبـدوا جيـدا بـل وضـروريا لـذلك تصـبح هـذه الإمكانيـات التاريخيـة ومـن خلالهـا يظهـر ديالكتيـك التـاريخ[2]، إذ مـا يحقـق تقـدم البشـرية هـو التناقضـات والصـدامات الـتي تـؤدي إلى إحالـة الأشـياء إلى حقيقتهـا، أمـا الحقبـات السـعيدة فليسـت حقبـات تاريخيـة.

[1] ريمون روية: نقد المجتمع المعاصر، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 1978، ص 11.

[2] رينيه سيرو: هيجل والهيجلية، مرجع سابق، ص 41.

المبحث الثالث: دور العقل والحرية والروح في التاريخ

1/ العقل:

يعتبر هيجل العقل* هو اليقين الموجود لدى الوعي فهو يمثل الحقيقة بأسرها[1]، فالعقل يحتل مكانة أساسية في فلسفته هيجل حتى أننا نجد مواضيع فلسفته بتعددها هو العقل، إذن فالفكرة التي نستخلصها من الفلسفة وهي تنظر إلى تاريخ الإنسانية هي تلك الفكرة التي نستخرجها من العقل والتي تقول: "إن العقل يسيطر على العالم وإنا تاريخ العالم يمثل أمامنا بوصفه مسارا عقليا"[2]، بمعنى ان العقل هو الذي يبرز هيمنته على العالم بل والأبعد من ذلك جعل تاريخه يتجسد كمسار للعقل.

حيث استخدم هيجل جدليته المعروفة بالصورة التركيبية في مسار التاريخ، بحيث يبدأ بتحديد ثلاثة عناصر أساسية يفسر لنا من خلالها مقولته ان العقل يحكم التاريخ.

1/ ماهية العقل أي ما المقصود بالعقل

2/ الطرق التي سيستخدمها العقل لكي يتحقق

3/ الصورة التي يتحقق فيها العقل في النهاية.

في البداية علينا أن ندرك ونكون على وعي من أن الإنسان جزء من الطبيعة وان الطبيعة تلعب دور في تاريخ العالم، ولهذا تظل هي الأساس الأول للتاريخ فالإنسان بوصفه كائنا طبيعيا مقيد

---

* reason كلمة العقل "verunfit الألمانية أو ملكة العقل جات من الفعل vernchen التي تعني: "يدرك، يسمع "يفحص"، يستوجب، وكلمة aeisoniere التي تعني يعقل يحاج إلى كثير ما تكون مذمومة وهي دائما عند هيجل مذمومة، والتي تعني الحجة الزائفة أو السوفسطائية من حيث الأسس والمبررات، أما الترجمة للاتينية intellertuc غير أن اشتقاقات هيجل من هذه الكلمة (على خلاف كلمة intell ktualitais

العقلانية والاستناد هو كلمة intelligne التي تشير إلى الذهن الفاهم بصفة عامة بما في ذلك الذاكرة والخيال ولكن كثيرا ما استعبته الارادة، (ميخائيل أدورنو: معجم مصطلحات هيجل، ص ص 453، 454)

[1] هيجل: العقل في التاريخ، ص 44.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

بـالظروف الطبيعيـة تـأثير وتـأثر[1]...، أي الطبيعـة هـي الأسـاس وجـزء لا يتجـزأ مـن الإنسـان، بحيـث يوجـد بينهمـا علاقـة تبادليـة فالطبيعـة لهـا دور في التـاريخ والإنسـان يتـأثر بهـا، فـإذا أردنـا أن نبحـث عـن ماهيـة العقل فإننا نجد ماهيته هي الحرية لأن طبيعة الروح هي عكس طبيعة المادة.*

وبمـا أن العقـل يحكـم العـالم وبالتـالي يحكـم تـاريخ العـالم، فإننـا نجـد المسـار التـاريخي هـو تقـدم الـوعي بالحريـة وأول مرحلـة يبتـدئ منهـا هيجـل هـي الحضـارات الشـرقية، وهـي شـعوب لم تعـرف الحريـة، فلقـد أقصـاهم هيجـل مـن المسـار التـاريخي للعـالم باعتبـار أنهـم كـانوا عبيـدا للحـاكم[2]، يتبـين أن نظـرة هيجـل للحضـارة الشـرقية لم تكـن سـوى نظـرة احتقـار وأبـرز دليـل هـو إقصـاءه لهـم وأبعـدهم مـن تـاريخ العـالم للتـاريخ لأنـه رأى بـأنهم لم يتصـفوا بالحريـة علـى مـدار حيـاتهم، ففـي رأيـه أن كـل شـيء في هـذا العـالم يخضـع للعقل ويتبعه ويسير في خدمته وهو وسيلة لتطوره.

أما مستويات العقل فهي ثلاث:

1/ العقل الخالص في المنطق

2/ العقل في حالة اغتراب في الطبيعة

3/ العقل حيث يعود إلى نفسه في فلسفة الروح[3]

فـإذا كـان العقـل كمـا قلنـا سـابقا هـو جـوهر التـاريخ البشـري لأنـه جـوهر الطبيعـة وهـذا راجـع لأن الـوعي الـذاتي يقتصـر علـى الإنسـان، إذ يقـول هيجـل: "يمكـن أن نفهـم طبيعـة الـروح لـو أننـا ألقينـا نظـرة علـى ضـدها المباشـر فكمـا أن ماهيـة المـادة هـي الثقـل فإننـا مـن ناحيـة أخـرى يمكـن أن نؤكـد أن جـوهر وماهيـة الـروح هـي الحريـة والحـق وأن النـاس جميعـا يسـلمون بـالفكرة القائلـة أن الـروح تمتلـك ضـمن مـا تمتلـك مـن

[1] المصدر السابق، ص 48.

* وهـذا التعريـف نفسـه ينسـحب علـى الـروح، إذ أن هيجـل يقصـد بالحريـة (التعيـين الـذاتي أو الاسـتقلال) فأنـت حـر بمقـدار مـا تكـون غـير مرتبط بأي شيء خارج عنك.

[2] المصدر نفسه، ص 95

[3] المصدر نفسه، ص 42.

خـواص"[1]، وهنـا يتبـين أن هيجـل يـرى أنـه تنعـدم الحريـة ينعـدم العقـل، بحيـث لا يمكـن لنـا أن نكـرر دور كـل حقـل مـن حقـول المعرفـة، كمـا يقـر أيضـا أن في التـاريخ يتجلـى ويتجسـد الفكـر.، فالأفكـار هـي العامل الحاسم في توجيه التاريخ ودفعه إلى الأمام وبالتالي فالفكر هو التاريخ والتاريخ هو الفكر.

2/ الحرية*:

إن الـروح العالميـة تسـعى إلى تحقيـق الحريـة، والـتي لا تتجسـد إلا في عـالم الحريـة الحقيقـي، بحيـث تتخـذ الـروح العالميـة شـكل نظـام مسـتقر، والـتي مـن خلالـه تهتـدي إلى الـوعي الـذاتي الـذي عـن طريقـه يمـارس قـانون التـاريخ فعلـه[2]، ومـا نفهمـه هـو أن هيجـل يريـد أن يصـل إلى الحريـة تكمـن في هويـة الـذات وهـذه الهويـة تقتضـي ألا تكـون متعلقـة بـل تكـون هويـة متمـايزة بحيـث تحـدث هـذه العمليـة عـبر التـاريخ وتتحقـق الحريـة مـا دام الـوعي الـذاتي يطـابق بـين الـذات والآخـر، أي تتقـدم الحريـة انطلاقـا مـن وعـي الأنـا بذاتـه، أي أنـه يريـد تثبيـت الحريـة كغايـة لكـل حركـة تطوريـة في التـاريخ بحيـث تصـبح متضـمنة في المجـال الباطني للروح.

كمـا يـرى هيجـل أن الحريـة ليسـت مفهومـا سـلبيا وإنمـا ينبغـي أن تـرتبط ببنـاء قـانون مـا، والقـانون الـذي يقصـده هـو قـانون كلـي يعـبر عـن الفعـل ولـيس جزئـي[3]، أي يريـد أن يبـني قـانون كلـي وشـامل ولا يكـون قانونـا جزئيـا لأنـه سـوف يعـبر عـن الإرادة تكـون مخالفـة لمـا يريـده العقـل، اي إرادة ذاتيـة، حيـث يقـول هيجـل: "يبـدأ تـاريخ العـالم بغايـة عامـة لكنهـا ضـمنية تتحقـق عـن طريـق الانفعـالات والمصـالح الجزئيـة، فالمجموعـة الهائلـة مـن الإرادات والمصـالح مـن الأدوات والوسـائل الـتي تسـتخدمها الـروح لبلـوغ

---

[1] المصدر السابق، ص ص48، 49.

* freedon الكلمتـان الألمانيتـان farheit و frei تطابقـان تمامـا "الحريـة" و"حـر" وهمـا معـا يشـيران إلى حريـة الإرادة والحريـة بكـل معانيهـا الاج والسياسـية، وهكـذا فـإن الحريـة تقابـل العبوديـة والتبعيـة والقهـر والضـرورة....لخ، ويحـاول هيجـل أن يـربط بـين المعـاني المتنوعـة ويسـلكها في نظريـة واحـدة، والفكـرة المحوريـة في الحريـة في الآتي: يكـون الشـيء وبصـفة خاصـة الشـخص حـر إذا وإذا فقـط، كـان مسـتقلا ومتحدا بذاته، مثلا يحدده ولا يعتمد على شيء آخر غير ذاته (ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 217)

[2] المصدر نفسه، ص 50.

[3] المصدر نفسه، ص 94.

هـدفها"[1]، مـا يؤكـده هـذا الـنص بـأن التـاريخ تحكمـه المصـالح الضـيقة والخاصـة وتقنعنـا بـأن المصـالح هـي المصـادر الوحيـدة للسـلوك والحاجـات والانفعـالات أي أن هيجـل يريـد أن يؤكـد علـى فكـرة أن محـرك التاريخ هو إشباع الرغبات الأنانية.

وفي السـياق نفسـه يقـول مـاركيوز: "إن إشـباع الرغبـات والحاجـات الخاصـة كثـيرا مـا تعـترض منظـر كئيبـة وظـواهر مخيفـة وذلـك لأن الانفعـالات والغايـات الخاصـة ليسـت لهـا حـد، ويمكـن أن يتحايـل أصـحابها علـى القـانون والأخـلاق ... ورغـم ذلـك يعتبرهـا هيجـل الأسـاس المحـرك للتـاريخ"[2]، مـا نفهمـه هو أن هيجل يعتبر أن تحقيق الأغراض الخاصة والحاجات والرغبات هي أهم دافع لحركية التاريخ.

ولقـد اعتـبر هيجـل أول مرحلـة في الـوعي بالحريـة كانـت سـائدة في المجتمعـين اليونـاني والرومـاني علـى الـرغم مـن عـدم المسـاواة الـتي كانـت سـائدة فيهمـا، وفي المرحلـة الثانيـة ينتقـل إلى الرومـان ليؤكـدوا أن الـوعي بالحريـة أكثـر انتشـارا لـديهم لهـذا اعتـبر فـترتهم كهولـة الإنسـانية، ثم يقفـز إلى الحضـارة العربيـة الإسـلامية ومـا حققتـه مـن تجسـيد للحريـات وتحريـر للعبيـد ومـا شـرعه لإعـلاء قيمـة الإنسـان وإعطـاء المـرأة مكانتهـا الموجـودة ومسـاواتها مـع الرجـل، وهـو الأمـر الـذي تخلفـت عنـه الحضـارة الأوربيـة لأسـباب كثـيرة، ثم ينتقل إلى مرحلة الجرمان ليقرر بأنها شهدت الحرية ذروتها القصوى لدى الأسر الجرمانية[3].

أمـا الفكـرة الـتي تجسـد فكـرة الحريـة هـي الدولـة*، فالهـدف الـذي ترمـي إليـه هـو الإبقـاء علـى كـل مـا هـو جـوهري في جهـود الإنسـان وإظهـاره والاعـتراف بـه، فالإنسـان لا يحقـق الحريـة إلا عـن طريـق الدولة، وفيها يظهر هدف التاريخ في صورة أكثر تحديدا.

---

[1] المصدر السابق، ص 50

[2] ماركيوز هربرت: العقل والثورة، مرجع سابق، ص 299.

[3] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص ص 175، 176

* state يسـتخدم هيجـل كلمـة الدولـة بمعنيـين، الأول يسـتخدم الدولـة في مقابـل الكلمـة اليونانيـة polis الـتي لم تكـن في رأيـه منسـقة تنسيقا داخليا، ومتمـايزة مثـل الدولـة الحديثـة، والمعـنى الثـاني هـو فقـط الـذي يعـني الدولـة staat أمـا المعـنى الثـاني فهـو يعـني staat أي المدنيـة، (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 518)

الدولـة عنـد هيجـل هـي الفكـرة المعـبرة عـن المطلـق والمجسـدة علـى أرض الواقـع تتـويج لـروح الشـعب محققـة لـذاتها في صـورة موضـوعية، فالدولـة عنـد هيجـل مركـب بـين الفـرد والأسـرة والمجتمـع المـدني، فهـي التحقـق الفكـري للحريـة[1]، ويعتـبر أن الدولـة هـي تجسـيد للـروح في الإفصـاح الخـارجي لإرادة الإنسـانية، فالدولة كانت هي ما يميز نفسه بنفس اعتبارها تشكل حياة الكل التي تظهر في جميع الأجزاء.

وهـذا مـا يؤكـده هيجـل بـأن الدولـة هـي الكلـي الموجـود بالفعـل وبالتـالي فهـي الفـرد وقـد تحقـق بالفعـل وقـد تتموضـع، فـالفرد يعتـبر عنصـرا مهمـا في الخلفيـة الأساسـية للمجتمـع وهـي "الأسـرة" والـتي تعتـبر مـن عناصـر الفكـرة الكليـة، فـإن المجتمـع المـدني عنصـر آخـر وهـو الجزئيـة فـإن الـذي ينـتج عنهمـا هـو عنصـر الفرديـة[2]، مـا يظهـر أن هنـاك علاقـة بـين الفـرد والـذي يعتـبر عنصـر مهـم في المجتمـع وهـو الـذي يشـكل الأسـرة، والـتي بـدورها تشـكل لنـا مجتمـع مـدني، وهكـذا تتجسـد لنـا الدولـة في الكلـي وتظهـر فيهـا علاقـة الفـرد بالدولـة والـتي تكـون بينهمـا علاقـة مزدوجـة فالدولـة هـي مـن يلجـأ لهـا الفـرد مـن أجـل حمايتـه والدفاع عنه فهي التي تمنح الحرية والحقوق لأي فرد من أفرادها

فالدولـة عنـد هيجـل حسـب قولـه: "ضـرورة خارجيـة وقـوة في مقابـل دوائـر الحـق الخاصـة للأسـرة والمجتمـع المـدني الـتي بطبيعتهـا تلحـق قوانينهـا ومصـالحها الـتي تتعلـق بهـا"[3]، بحيـث يصـبح كـل طـرف أو فـرد ملـزم في مقابـل الحقـوق داخـل هـذا العقـد وواجـب الدولـة أن تـربي مواطنيهـا وتـثقفهم*، بمعـنى أن الحريـة تسـتلزم معرفـة القـوانين والـتي تـتحكم وتشـكل الظـروف الموضـوعية للإنسـان، يميـز هيجـل بـين ثـلاث مراحـل تاريخيـة رئيسـية في تطـور الحريـة، المرحلـة الشـرقية واليونانيـة الرومانيـة والألمانيـة، ويـرى بـأن الدولـة باعتبارهـا تجسـيد للمطلـق لا بـد لهـا مـن دسـتور لتنظـيم الـداخلي، وكـذا تنظـيم وتوضـيح علاقتهـا علـى المستوى الخارجي.

---

[1] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص 47.

[3] المصدر نفسه، ص 280.

* يتوافق هيجل مع "روسو" صاحب نظرية العقد الاجتماعي.

وفي هـذا يقـول هيجـل: "أمـا التنظـيم الـذي يحقـق الحريـة فهـو مبـدأ الفصـل بـين السـلطات لأن الحـاكم المسـتبد الـذي يجمـع في يـده السـلطات التنفيذيـة والتشـريعية ولقضـائية لا بـد وأن يتعسـف بحيـث يشـرع ويقـرر كمـا يريـد لرغباتـه وغرائـزه"[1]، مـا يتبـين لنـا مـن القـول هـو أن هيجـل في هـذه النقطـة يركـز علـى الحكـم الـديمقراطي والـذي يحقـق الحريـات ويناقض بـالحكم المسـتبد الـذي يمكـن الحـاكم مـن جمـع السـلطات في يـده واتبـاع نزواتـه وشـهواته، ومنـه فكـل شـكل للدولـة ينبغـي أن يقـرر تبعـا لكونـه مطابقـا أو غـير مطـابق لمرحلة الوعي التاريخي، كما يجب أن تبنى الدولة على أساس الاعتراف بالحرية.

3/ الروح

تنقسـم فلسـفة الـروح* والـتي تـأتي في القسـم الثالـث والأخـير مـن فلسـفة هيجـل إلى ثلاثـة أقسـام هـي: الـروح الذاتيـة الـروح الموضـوعية، الـروح المطلقـة، ويقـوم هيجـل بتقسـيم كـل واحـدة منهـا إلى ثلاثـة أدنى منها:

أ/ **الـروح الذاتيـة**: تعطـي الـنفس والـوعي والـذهن فهـي تـدرس سـلوكات الأفـراد أي الحيـاة العقليـة الداخليـة للأفراد "الأنثروبولوجيا وعلم النفس والفينيمينولوجيا

ب/ **الـروح الموضـوعية**: وبـدورها تنقسـم إلى المجـرد والأخـلاق الفرديـة أو الذاتيـة والأخـلاق الإجتماعيـة والأسرة والمجتمع المدني والدولة.

ج/ **الـروح المطلقـة**: وهـو مركـب مـن الـروح الذاتيـة والموضـوعية ويتكـون مـن الفـن والـدين والفلسـفة في وحدة أعلى وأشمل[2].

ويتجسد دور الروح في حركية التاريخ كما يلي:

---

[1] المصدر السابق، ص 48.

* spirit كلمـة الـروح الألمانيـة geist تـرتبط مـن حيـث اشـتقاقها اللغـوي بكلمـة الشـبح chost غـير أن سلسـلة معانيهـا تنـاظر بأحكـام معـاني كلمـة الـروح، فهـي تعـني في الأصـل العاطفـة والإثـارة، ولكنهـا مـورث معـاني الـروح والـنفس والـذهن ووجـود مـا فـوق الحـس والشـبح، ولقـد استخدم هيجل مصطلح "الروح" بطرق عظيمة التنوع (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مرجع سابق، ص 512)

[2] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص 280.

1/ **الطبيعة:** تظهر الطبيعة* عندما يباين الروح المطلق نفسه وهي تتطور وفقا للمنهج الثلاثي:

أ/ الطبيعة في ذاتها المتمثلة في الميكانيكا أي جملة القوانين الآلية التي تعبر عن مطلق الواجهة الكمية في الأجسام.

ب/ الطبيعة لذاتها أي جملة القوى الكميائية والتي تعبر عن الوجهة الكيفية.

ج/ الطبيعة في ذاتها أي جسم الكائن الحي والعقل الخالق.[1]

والمقصود هنا أن الروح المطلق يبين نفسه من خلال تناقض وتعارض مع الطبيعة التي تصوره وفق منهج ثلاثي، بحيث ننجد علم الطبيعة يدرس الاستحالة الباطنية والتغيير الجوهري.

ماهية الإنسان روح أي شعور وحرية ولكن الشعور والحرية على درجات ثلاث: الدرجة السفلى الروح فيها مقارن للجسم، ينمو وينضج ويشيخ معه إحساساته غامضة يقابلها انفعالات غامضة وهذه جسمية الروح، ثم يظهر "الشعور الواضح" فيدرك الإنسان ذاته ويدرك الأشياء وهذان الإدراكان متعارضان، يوفق بينهم الفهم الذي وظيفته إدراج إحساس تحت قوانين الاولية، وجعل مدركات الشعور موضوعية ووضع الحقيقة[2]، أما الروح الموضوعي له مظاهر ثلاثة تقوم إزاء المظاهر الذاتية الثلاثية وهي الحق والواجب والمؤسسات الاجتماعية[3].

وما نفهمه هنا أن العلاقة الطبيعية تسيطر على الفرد الأنانية أما في حالة الإجتماع فإنه سوف تنظم الأنانية بالحق والقانون، لأن الفرد بنفسه عاجز عن تحقيق المثل الأعلى للأخلاق، فيجد السند من المجتمع الذي يحرره من نفسه وأنانيته ويوفر له الوسائل من أجل العمل.

---

* nature مأخوذة من الكلمة اللتينية natur وهي في النهاية مأخوذة من الفعل nasci يولد وينشأ، يظهر الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالطبيعة (ميخائيل أوور: معجم مصطلحات هيجل، ص 365)

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 278.

[2] المرجع نفسه، ص 280.

[3] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 243.

والمؤسسة الاجتماعية الأساسية هي الأسرة، حيث يدرس هيجل الأسرة على أنها الوجه الأول المباشر للأخلاق والتي ترفع البواعث الحسية الخام إلى مؤسسة الزواج وتعد الفرد للمشاركة في المجتمع المدني والدولة، فالأسرة هي دائرة المرأة فهي تجد مصيرها الأساس في الأسرة، ويعبر التشبع بالولاء للأسرة عن حالتها المزاجية والاخلاقي[1]، بمعنى أنه من خلال الأسرة يقوم المجتمع المدني وتقوم أيضا الدولة إذ يعتبر الزواج واجب مقدس وليس أمرا عاطفيا فحسب، أن يصدر نتيجة الشعور بالواجب لأنه سوف يكون من أجل المجتمع والدولة وهنا يعد عملا خلقيا.

العقل الخالق، مع العقل المصور في الإنسان يبدأ بما هو أكثر تجردا وأقل إدراكا أي بالمكان والمادة[2]، أي المكان موجود وغير موجود والمادة شيء وليست شيئا هذا التناقض هو مبدأ التطور الطبيعي والقوة الدافقة والذي ينحل في الحركة التي تقسم المادة إلى وحدات متمايزة، وتنوع المادة تنوعا كيفيا بحيث يظهر من الكهرباء الكمياء بعناصرها المتقلبة والمتقابلة، فتتفاعل هذه العناصر ثم تأتلف إلى مركبات[3]، أي أن المادة تتوزع وتتنوع وعندما تكون منتظمة تمثل مقولة الكم فعلم الطبيعة والكمياء يدرسان الإستحالات الباطنة والتغيير الجوهري.

ثم تظهر من القوى الفيزيقية والكيميائية الكائنات الحية التي هي مجاميع مركزة، لا يعني أنها وليدة المادة الآلية فحسب ولكنها وليدة تطور المثال أو الروح بواسطة المادة، ويلقى الكائن الحي معارضة من الطبيعة الخارجية فيثبت فرديته أو يحقق مثاله بالتمثيل المتصل والتنفس والحركة الحرة، ثم تتحقق الفردية في الحيوان والتي ترتقي بالتدريج على رسم واحد إلى أن يصل الروح الخالق إلى جسم الإنسان ويغدق عليه الكنوز الروحية[4]، وما يتبين لنا أن هناك حركة متعلقة بكائنات حية تتصارع من أجل تثبيت فرديته حتى تتحقق له وترتقي وتصل الروح الخالقة إلى جسم الإنسان، وفي جميع هذا الوصف يستخدم هيجل المعارف العلمية من وقت أرسطو إلى وقته وهو يقوم بترتيبها ترتيب ثلاثي كما يقتضيه منهجه.

---

[1] المصدر السابق، ص 414.

[2] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 278

[3] المرجع نفسه، ص 279.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب/ الإنسان والمجتمع

بعـد أن يعـارض الـروح المطلـق نفسـه بالطبيعـة يميـل إلى ضـرورة التغلـب علـى هـذا التعـارض بـان يسـتعيد نفسـه بمعرفـة نفسـه، أمـا غـرض الدولـة فيزيـد علـى مـا تقـدم مـن تحقيـق الـروح المطلقـة، فالدولـة تحمـي حقـوق الأشـخاص وهـذا هـو الهـدف الرئيسـي للدولـة، كمـا لا يجـوز تقسـيم الدولـة وأفعالهـا بنـاء علـى معـايير الأخـلاق، ونجـد الأسـرة تقـوم علـى الحـب ولكـن في الدولـة عكـس ذلـك حيـث يقـول هيجـل: "في الدولـة تختفـي هـذه العاطفـة الحـب فـنحن فيهـا –أي الدولـة– نكـون علـى وعـي بوحـدة القـانون فهنـاك في الدولـة لا بـد أن يكـون المضـمون عقليـا ومعروفـا لنـا..."[1]، ومـن هنـا فـإن الدولـة تـرتبط بـالوعي الـذاتي فهـي تتماسك ويرتبط أعضاؤها لا عن طريق القوة بل عن طريق الإحساس بالنظام.

كمـا يـرى هيجـل أن النـاس في الحالـة الطبيعيـة كـانوا بـلا حقـوق وبغـير حـق، لكـن أي كـان عليـه وضـعهم فإنـه يحمـل سمـة مـن سمـات الطبيعـة فيقـر بـأن الدولـة ليسـت وسـيلة لإشـباع حاجاتنـا ورغباتنـا السـابقة، حيـث يقـول: "فالغايـة العقليـة للإنسـان هـي الحيـاة في دولـة"[2]، مـا يتبـين مـن قولـه أننـا بحاجـة إلى دولة لتعيد إلى الأفراد وحدتهم بعد تشتت مصالحهم الخاصة، فهي التي تجعل الموجودات عقلية كاملة.

ومنـه إن للأسـرة والمجتمـع المـدني والدولـة شـروطها إذا بـرزت أمـا الفـرد واجبـات ضـرورية وهـذا صـحيح كـل الصـحة وهـو أسـاس النظـام.، كمـا يضـع هيجـل قيمـة عاليـة للدولـة حيـث يصـورها بانهـا سـيرة الله علـى الأرض ولا يعـني هـذا أنهـا الله، هـي الله ولكـن بمعـنى قمـة الكمـال حيـث يقـول: "إن سـيرة الله في العـالم هـي مـا يشـكل ماهيـة الدولـة ذلـك لأن أسـاس الدولـة هـو قـوة العقـل الـذي يحقـق نفسـه بوصـفه إرادة"[3]، إلا أن هيجـل لا يرجـع بنظامـه إلى مبـدأ أعلـى بـل يقـدس الواقـع فيخضـع الفـرد إخضـاعا تامـا وينكـر عليـه حـق الانتقـاد والاصـلاح، ويعـود مـن حيـث لا يـدري إلى تكـريس أو هـي ضـروب الاسـتبداد وهو الاستبداد الذي يزعم بأنه حق إلهي[4].

---

[1] هيجل: أصول فلسفة الحق، مصدر سابق، ص 616.

[2] المصدر نفسه، ص354

[3] المصدر نفسه، ص 644

[4] زكريا ابراهيم: هيجل والمثالية المطلقة، مرجع سابق، ص 227.

فكرة نهاية التاريخ عند هيجل:

نجد هيجل يشير إلى فكرة نهاية التاريخ وهي الفكرة التي ختم بها منطقه الدياليكتيكي والعالم كله، ففكرة نهاية التاريخ ليست وليدة عصر معين، بل هي فكرة قديمة قدم الإنسان ذاته فالإنسان الأول من الوجهة الأنثروبولوجية آمن بفكرة نهاية العالم التي ربطها بالتاريخ، ففكرة نهاية التاريخ هي الشعار الذي أرده هيجل كذروة التحقق النهائي الذي فيه تطابق إمكانيات التاريخ كروح من الواقع كساحة تجسيد وتجلي لها، فجاءت عبارة الدولة الشمولية المتجانسة أو المنسجمة لتدل على قمة السمة الأخيرة لذروة هذا التطابق بين العقل والواقع.

من خلال تمييز هيجل بين التاريخ والتاريخ* أننا إذا أردنا الوصول إلى حقيقة النهاية يجب أن نتجاوز هذه الوقائع المعطاة وأضاف الحقائق لنصعد إلى مرحلة أعلى تكون أكثر صدقا من المرحلة الأولى، لكنها ما دامت قد تحقق في الواقع الفعلي الخارجي فقد أصبحت متناهية ومنه يتوجب علينا أن نتجاوزها لكي ننتقل إلى مرحلة أعلى، حيث يقول: "إن كل مرحلة متناهية شأنها شأن كل متناهي بصفة عامة إنما تحمل بذور فنائها في داخلها أي أنها لا بد من أن تتجاوز وتنتقل إلى مرحلة أعلى"[1]، كما يرى هيجل أن الحقيقة الكاملة لا متناهية وأن الفكر أو العقل أو الروح هو اللامتناهي الحقيقي، فنحن عندما نسعى إلى الحقيقة الكاملة فإننا نريد أن نصل إلى النهاية، وبما أن الروح هي التي تسعى إلى هذا أي أنها تريد الوصول إلى ذاتها أو بلغة هيجل تسعى إلى مرحلة الوعي الذاتي.

كما يوضح هيجل أهم خصائص المتناهي ونهايته التي هي في الوقت نفسه خصائص المادة والعالم الخارجي بأسره، وأن المتناهي يلغي نفسه ولا يأتي ذلك الإلغاء من الخارج فحسب بل إن الطبيعة نفسها تتسبب في إلغائه فهو بنشاطه الخاص ينقلب إلى ضده[2]، أي أن المتناهي ليس هو من يلغي نفسه بل يأتي من الخارج أن المتناهي نتيجة نشاطه الخاص، ينقلب إلى ضد ويتم ذلك عن طريق

---

* التاريخ هو مجموعة أفعال والأحداث التي تقع بالنسبة إلينا في زمن من الماضي، كما أنه مجموعة العواقب التي نتجنب عن أفعال الناس في الماضي وما نتج عنها من أحداث ومؤسسات أما التاريخ فهو المعرفة التاريخية المتعلقة بالماضي الإنساني (محمد وفيدي: معقولية التاريخ ومعقولية التأريخ، مركز الإنماء القومي، بيروت، 990، ص26)

[1] إمام عبد الفتاح إمام: دراسات في الفلسفة الهيجلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، 1984، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص16

عمـل الـروح المسـتمر بتحطيمهـا للواقـع، وتـدمير تلـك المعطيـات ومـن خـلال التـدمير تحـل صـورة جديـدة ويـتم سـلب الصـورة الجزئيـة، وبـدور هـذه العمليـة واسـتمرارها تحصـل الـروح علـى الماهيـة الحقيقيـة النهائيـة، ويقـول هيجـل في هـذا المعـنى: "بينمـا تعمـل الـروح مـن ناحيـة علـى إلغـاء الواقـع وتحطـيم دوام مـا تكونـه فإنهـا تظهر في الوقت ذاته بالماهية والفكر وبالعنصر الكلي..."[1]

إذا يـرى هيجـل أن الهـدف النهـائي للعـالم هـو حريـة الـروح[2]، ومعـنى ذلـك أن الـروح لهـا تاريخـا يمثلـه الشـوط الـذي قطعتـه مـن فجـر التـاريخ حـتى الآن في سـبيل أن تجعـل نفسـها موضـوعية، أي أن تتحقـق في العـالم الخـارجي علـى هيئـة تنظيمـات اجتماعيـة ومؤسسـات وقـوانين وفنـون ومـذاهب فلسـفية وتزدهـر الحيـاة فيهـا، ثم تنهـار لتحـل محلهـا حضـارة أخـرى تمثـل مرحلـة أعلـى في سـير الـروح إلى النهايـة، وهـذا عـو عمـل الروح لإدراك النهاية المرغوب فيها.

وعلـى هـذا تظهـر لنـا فكـرة نهايـة التـاريخ الـتي تبناهـا هيجـل علـى مبـدأ الـديالكتيك والـذي ينتهـي باتحـاد الأنـا في كنـف دولـة العقـل فالتـاريخ لـيس إلا تلـك العلـة الدنيويـة بـين البدايـة والنهايـة[3]، إذ نجـد هيجـل ينطلـق في عصـره مـن فكـرة الصـراع الـذي يقـع ضـمن مجـال الأفكـار فكـل فكـرة لهـا نقـيض وأن التاريخ لا يتجلى كأحداث إلا في حركة الفكرة والنقيض.

وعلـى حسـب رأي هيجـل فـإن نهايـة التـاريخ قـد حـدثت مـرة واحـدة في التـاريخ وذلـك عنـدما تجلـى الإلـه في الإنسـان الـذي جسـده المسـيح، وأنـه سـيحدث للمـرة الأخـيرة عنـدما يتحـد الإلـه مـع العـرق الآري المتفـوق عندئـذ نصـل إلى إدراك المطلـق داخـل نطـاق الدولـة وفي هـذا الشـأن يقـول: "مرسـيا إليـاذ" "هيجـل يعـود ويتنـاول الايديولوجيـة اليهوديـة المسـيحية ويطبقهـا علـى التـاريخ العـالمي في مجملـه الـروح العـالمي يتجلـى باسـتمرار في الحـوادث التاريخيـة ولا يتجلـى إلا في حـوادث التـاريخ الـذي يصـبح في مجملـه تجليـا إلهيـا"[4]، نجـد هيجـل يحصـر نهايـة التـاريخ في المجتمـع الجرمـاني بحجـة أنـه حقـق غايتـه التاريخيـة وبـذلك

[1] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص176

[2] جان هيولت: مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل، تر: أنطوان حمص، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1971، ص35

[3] محمود عبد القادر: الفكر الإسلامي والفلسفة المعارضة، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، 1986، ص73.

[4] إلياد مرسيا: رمزية الطقس والأسطورة، تر: نهاد قياضة، دار العربي، سوريا، ط3، ص107

فقد انتهى التاريخ الآن، أي أنم غايته قد تحققت وهي الحرية والعقل باعتبار أن العقل والروح هما محرك التاريخ.

وعلى هذا ربط هيجل فلسفته بمنظور متصل بفكرة التطور التي أشاعتها فلسفة التاريخ في القرن 18، وهي الفكرة القائلة بأن العالم المحكوم بغاية حتمية يحقق بها ذاته وصولا إلى نهاية تذوب فيها المتناقضات، كون أن أولى تجليات العقل المطلق تبدأ حينما يعلن التاريخ عن نفسه الواعية بأبسط مظاهرها، وذلك من مكان يقع في أقصى الشرق وينتهي في الغرب على أن أوربا عي نهاية التاريخ على نحو مطلق في حين آسيا تكون بداية التاريخ[1].

ويبرر هيجل انتهاء التاريخ واكتمال العقل بأنه أصبح أكثر واقعية، لقد وصل الديالكتيك إلى النهاية[2]، لأن جل المتناقضات الكبرى فحلت وكل ما كان يشكل عائقا أمام الاعتراف بكرامة الناس يشكل إجمالي جرى نقضه ودفنه م التاريخ، فلم يعد هناك تناقضات أساسية بين عقولنا وواجباتها فنهاية التاريخ ضرورة فلسفية واكتمال سياسي في الوقت نفسه، وهكذا كما يرى هيجل الفلسفة هدفها هو الحكمة كما تبلغ السياسة هدفها هو الحرية والمساواة[3]

إن التصور الهيجلي لنهاية التاريخ هو بمثابة حركة متنوعة تسير نحو درجات أعلى وصولا إلى التنظيم الكلي النهائي إذ تأخذ الأفكار والتصورات والتجليات يعد واقعا يظهر في مؤسسة الدولة والمجتمع، لينقل هذا الإنجاز إلى الغرب الذي أفلح في نظر هيجل في تطوير إمكانيات هائلة في الاقتراب من الهدف النهائي للتاريخ، فقد حقق فنا يعتبر خلاصة الفنون البشرية كلها، وهو الفن الرومانتيكي الذي أصبح أكثر الفنون قدرة على التعبير على مضمونه الروحي، أما في الدين ظهرت المسيحية بوصفها الديانة المطلقة التي أنهت دور الديانات الطبيعية والفردية الروحية، باعتباره أكثر الديانات كفاءة في نظر هيجل وقدرة على تمثيل الحقيقة المطلقة[4]، نجد هيجل يتكلم عن المسيحية من

[1] جان هيولت: مدخل إلى فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص37

[2] نقلا عن: إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص27

[3] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص144.

[4] المرجع نفسه، ص145

خـلال العلاقـة التاريخيـة الموضـوعية بـين العقيـدة المسـيحية وظهـور المجتمعـات الحديثـة في أوربـا، فالمسـيحية تعتـبر الإنسـان الحـر أخلاقيـا مـن حيـث إمكانيـة الاختيـار بـين الخطـأ والصـواب، فالحريـة والمسـيحية كانـت شـرطان داخليـان للـروح وليسـت شـرطان خارجيـان لجسـد، فـالمفهوم المسـيحي للحريـة بـالمعنى الهيجلـي يضمن المساواة البشرية الشاملة بشرت بعهد النهاية الأخيرة للتاريخ البشري.

فالمسـاهمة المسـيحية في العمليـة التاريخيـة كانـت توضـع علاقـة الإنسـان بالحريـة وتقـوم بتحديـد الاتجـاه الـذي يمكنـه مـن فهـم الكرامـة الـتي يملكهـا جميـع النـاس، فالإلـه المسـيحي يقـترن بجميـع الكائنـات الإنسانية بشكل شامل يعترف بقيمتهم الانسانية الفردية وبكرامتهم[1].

كمـا يـرى هيجـل أنـه ينبغـي أن تنسـجم الدولـة مـع الكنيسـة وطبقـا لصـيرورة الجـدل ينحـل التعـارض بـين الاثنـين وتقـوم مملكـة الفكـر إذ لا تمـايز بـين الدولـة والكنيسـة فكلاهمـا منـدرجان في رابطـة واحـدة، وقـد ارتفعـت الـروح إلى ذروة الـوعي ومارسـت الحريـة المنشـودة ذلـك أن الحريـة وجـدت ف العـالم الجرمـاني الوسـائل الـتي تحقـق بهـا مثلهـا الأعلـى أي وجودهـا الحقيقـي تلـك هـي غايـة التـاريخ النهائيـة، تلـك هي النتيجة التي يتجه مسار التاريخ لانجازها[2]

ويعتـبر هيجـل أيضـا أن الجرمـان هـم الـذين سـيقدمون هـذه الانجـازات التاريخيـة حيـث يأخـذ الفـن معنـاه والـدين قيمتـه، وتظهـر الفلسـفة بتشـخيص هيجـل علـى انهـا إشـارة الختـام في هـذه المسـيرة الصـعبة والطويلـة الـتي قـدر لبـني الإنسـان أن يخوضـها منـذ اللحظـة الأولى في تحقـق المضـمون الكامـل لفكـرة الحيـاة[3]، كمـا نخلـص إلى أن هيجـل يحكـم علـى المرحلـة الجرمانيـة علـى أنهـا تـاج المراحـل التاريخيـة، لأنهـا تمثـل جـدلا متواصـلا بـين مملكـة الـروح والكنيسـة ومملكـة الـدنيا وهـي الدولـة، كمـا أن فكـرة التـاريخ الهيجيلـة لا تـدعوا إلى زوال الإنسـان في متاهاتـه، فالعـالم الطبيعـي سـيبقى كمـا هـو إلى الأبـد، حيـث يقـول هيجـل: "الإنسـان سـيبقى حيـا كحيـوان متوافـق مـع الطبيعـة أو مـع الكـائن المعـين فالـذي سـيزول مـن الإنسـان هـو

[1] فرنسيس فوكو ياما: نهاية التاريخ والرجل الأخير، تر: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشابي، مركز الانماء القومي، بيروت، 1992، ص192.

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر اسبق، ص38.

[3] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص145.

الفعـل السـالب"[1]، ونجـد هيجـل يقصـد بالفعـل السـالب هـو توقـف بالفعـل المعـنى الكلـي للعبـارة ممـا يعـني زوال الحروب والثورات الدموية وزوال الفلسفة أيضا.

ومـا نستخلصـه مـن هنـا حـول فكـرة نهايـة التـاريخ الهيجليـة هـو أن فكـرة التـاريخ لم تكـن فكـرة مسـتقبلية بـل مسـألة راهنـة وليـدة ظـروف سياسـية واجتماعيـة وفعـت بهيجـل إلى وضـع هـذا التصـور الفلسـفي حـول مصـير التـاريخ وهدفـه الأخـير، وخلاصـة ممـا تم التطـرق إليـه نجـد أن التـاريخ بالنسـبة لهيجـل هـو نمـو للحقيقـة تنتقـل مرحلـة إلى مرحلـة أخـرى عـن طريـق الجـدل، كمـا نجـده أيضـا مناقشـة طويلـة تكـون البشـر والحضـارات كمـا نجـدها تختلـف كثـيرا كـل الاخـتلاف عـن النقاشـات الفلسـفية وكـذا تختلـف أيضـا عـن النشـاط الجـدلي المنطقـي، وهـذا راجـع إلى كـون المناقشـة التاريخيـة لا تـتم عـن طريـق المضـاربة بـالحجج، بل عن طريق الأحداث أي أن الجدل التاريخي الحاصل في الواقع تعكس على تاريخ الفلسفة جميعا.

[1] نقلا عن: جان هيبولت: مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل، مرجع سابق، ص40

الفصل الثالث

الفصل الثالث: حركة الجدل في التاريخ

تمهيد:

المبحث الأول: الجدل ومراحل التاريخ من البداية إلى النهاية

لقد ارتبط الجدل عند هيجل بفكرة التاريخ الذي يعبر عن طبيعة العقل في التاريخ وموضوعه هو الفكرة الشاملة التي لا يصل إليها إلا بعد أن يقطع طريقا طويلا يكشف فيه عن نفسه في صور عديدة وكثيرة تمثل درجات مختلفة في المعرفة.

إذ نجد ثلاث مراحل يمارس فيها العقل الدياليكتيكي فعاليته وصولا إلى تحقيق ذاته في نهاية التاريخ، وهذه المراحل هي كالآتي.

1/ مرحلة الوعي المباشر: يكون الحس أساسيا ومباشرا، لأن الموضوع في هذه المرحلة لا يزال فرديا ومستقلا عن الذات، يظهر مباشرة أمام الوعي ليكون الحس فيها وسيطا بين الفكر وموضوعه ونموذج هذه المرحلة هو العرفة الحسية.

2/ تعرف هذه المرحلة بمرحلة الوعي الذاتي وفيها تظهر حقيقة الموضوع بوصفها عبارة عن فكر له طبيعة ذات مفكرة، الذات حين تتأمل موضوعها فهي في الحقيقة تتأمل نفسها لأن الذات حين تجعل من نفسها موضوعا لنشاطها، إنما تتقفى نفسها كذات.

3/ مرحلة الوعي المطلق ويمثلها العقل الذي هو عبارة عن وحدة الوعي المباشر، حيث أن الموضوع يوجد وجودا مباشرا اما الذات وأنه مستقل عنها، وأن الوعي الذاتي يرى أن الموضوع متحد بالذات[1]

ما نفهمه هو أنه في المرحلة الأولى الحس يكون له دور أساسي ويظهر مباشرة في هذه المرحلة ، أما المرحلة الثانية فيظهر أن الموضوع بصورة جديدة بحيث تصبح لديه طبيعة مفكرة، أما في المرحلة الثالثة فنجدها تجمع بين الموقفين في مركب واحد، وعلى هذا يظهر العقل على انه هوية الأمور المتباينة وأنه الصورة العليا لنشاط الروح أو لحركة الوعي، ومن خلال هذه المراحل الثلاث يبين لنا هيجل رحلة العقل الجدلي وكيفية تشكله في التاريخ باعتباره نشاط الوعي للذات، كما نجد بأن المكونات تنظم

[1] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص107.

علاقـات متناقضـة أو علاقـات جدليـة تـؤدي في النهايـة إلى مركـب جديـد بحيـث يمكننـا أن نعتـبر الجـدل لا يتوافق أبدا بل يظل قائم إلى أن يتحقق في النهاية المسار التاريخي في صورة المطلق*

وهـذا مـا يؤكـده قـول ولـتر سـتيس: "إن الـروح المطلـق بوصـفه وجـودا ذاتيـا، لا ب أن يكـون بالضـرورة لونـا مـن ألـوان الـوعي البشـري والـوعي الفـردي، ولا يمكـن أن يكـون وجـودا غـير مشـخص كمـا كـان لدولـة مـثلا بـل لا بـد أن يكـون وعيـا متحقـق الفعـل وبهـذه الطريقـة يسـتطيع الـروح المطلـق أن يحقـق الشـرط القائـل لا بـد أن يكـون ذاتيـا حقيقـة إنـه وعـي بموضـوع مـا، وهـذا الموضـوع هـو اتحـاد الـذاتي بالموضـوعي[1]، أمـا يتبـين لنـا أن المطلـق هـو الفكـرة النهائيـة والمنطقيـة علـى حسـب فهمـه وأن الـروح المطلـق يتحقق بعد تلاشي الفوارق بين الذاتي والموضوعي، أي بواسطة الجدل الثنائي.

كمـا نجـد هيجـل يعـبر عـن الصـيرورة الجدليـة في التـاريخ قـائلا: "إن الوجـود المباشـر للعقـل وهـو الـوعي ينطـوي علـى جـانبين همـا المعرفـة الموضـوعية القائمـة في مواجهتهـا كضـد سـالب، ولمـا كـان العقـل ينمـو في عنصـر الـوعي هـذا يبسـط في لحظاتـه ومراحلـه"[2]، ويـرى هيجـل أن مسـار التـاريخ يكشـف عـن التقدم في ذاته سواء في المظاهر المادية أو الفكرية، فهو يخضع في جوهره إلى الاعتبارات التالية:

أ/ أنـه يكشـف عـن تقـدم الـروح نحـو تحقيـق كمالهـا، وكسـر نطـاق الطبيعـة البحتـة الـذي منـه تصـدق الـروح إلى تحقيق حريتها عبر مسار التاريخ وذلك لمحاولتها بلوغ مرتبة الوعي الكامل بذاتها.

ب/ يتم هذا التقدم نحو وعي الروح بذاتها تدريجيا وفق منطق الديالكتيك

ج/ لا يفيـد هـذا التقـدم الانتقـال مـن الـنقص إلى المـال، ذلـك أنـه وفقـا لمنطـق الـديالكتيك القـائم علـى التنـاقض، فـإن الـنقص يحـوي في طياتـه علـى الكمـال، ومـن ثمـة فـإن مسـار التـاريخ هـذا يتخـذ مظهـر أقـرب إلى الانتقال من القوة إلى الفعل[3]

---

* يتحقـق المطلـق مـن خـلال حركـة مطـردة بـين الـروح الـذاتي والـروح الموضـوعي واروح المطلـق، بحيـث تصـبح الـروح حـرة ومطلقـة لا متناهيـة، أمـا موضوعات الروح المطلق فهي الفن الدين الفلسفة (هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 45)

[1] ولتر ستيس: فلسفة هيجل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة، القاهرة، 1980، ص45

[2] هيجل: علم ظهور العقل، مج1، مصدر سابق، ص110.

[3] أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص213.

وإذا كان الروح الذاتي يمر بمراحل ثلاث كما ذكرنا سابقا هي الوعي والوعي بالذات ولعقل وفق عملية جدلية، فإن التاريخ هو أيضا سيمر مساره بمراحل ثلاث متماثلة، ألا وهي مراحل تطور التاريخ البشري التي يطلق عليها هيجل الأسماء التالية:

-مرحلة بداية التاريخ تمثل العالم الشرقي (الصين، الهند والفرس)

-مرحلة وسط التاريخ تثل كلا من اليونان والرومان

-وأخيرا مرحلة نهاية التاريخ التي تمثل الأمة الجرمانية[1]

في هذه المراحل يعرض هيجل اللحظات المختلفة التي تترقى عبرها الروح، كون أن هذه الأخيرة عند هيجل لا تنفصل عن التاريخ، وكل مرحلة من هذه المراحل تعكس ظروفا معينة وخصائص مميزة لها، مما يجعلها تختلف تمام الإختلاف عن المرحلة التي تأتي بعدها، فلا بد من فهم كل مرحلة على حدى خاصة ما يتعلق بوعي الحرية ونشاط العقل.

وهذا ما يؤكد هربرت ماركيوز: "وإذا كان تحقيق العقل يمر عن طريق نشاط الديالكتيك بفترات متباينة، فإنه لا يوجد مع ذلك إلا عقل واحد، مثلما أنه لا يوجد إلا كل واحد وحقيقة واحدة هي الحرية، وهذا هو الهدف النهائي الذي يصبو إليه مسار التاريخ العالمي ويهدف إليه على الدوام وهو الذي من أجله قدست تلك التضحيات..."[2]، إذ أن أول شكل يأخذه الوعي في مرحلة بداية التاريخ هو شكل الوعي الكلي الجماعي حيث تندمج فيه كل فردية داخل المجتمع في تفاعل جدلي مشترك، فالمشاعر والإحساسات والمفاهيم ليست ملك كل فرد بل هي مشتركة ويتقاسمها الكل.

حيث يقول هيجل: "إذن من الضروري التحقق الذاتي للروح أن تبدأ في البداية بعملية التخارج من الذات إلى الوعي الذاتي الكامل، وتتم هذه العملية عن طريق الديالكتيك الذي يمثل القوة الدافعة والمحركة لهذه العملية قمة انهيار الصورة الأولى تظهر صورة جديدة وهكذا دواليك في مسيرة

[1] هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ العالم الشرقي، مج2، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص7

[2] هربرت ماركيوز: العقل والثورة، مرجع سابق، ص35

التـاريخ كلهـا"[1]، مـا نفهمـه أن هيجـل يـرى أنـه ولكـي يتحقـق الجانـب الـذاتي لا بـد أن ينطلـق مـن البدايـة من الفرد لينتهي إلى الوعي الكامل، ما يظهر عنده أن التاريخ حركة ديالكتيكية من البداية إلى النهاية.

أول مرحلـة ينطلـق منهـا هيجـل هـي العـالم الشـرقي (الصـين والهنـد وفـارس ومصـر) فعلـى حسـب قولـه: "في آسـيا أشـرق ضـوء الـروح ومـن ثم بـدأ التـاريخ الكلـي"[2]، فهـذه المرحلـة حسـب اعتقـاده هـي أكثـر المراحـل أهميـة لأن الـروح خطـت خطواتهـا الأولى منهـا، والـتي بـدورها يقسـمها تقسـيما ثلاثيـا ديناليكتيكيـا وفق ثلاثة مراحل: الصين، الهند، وأخيرا فارس ومصر*.

1/الصين:

يبـدا هيجـل تحليلـه للعـالم الشـرقي بـدءا مـن الإمبراطوريـة الصـينية الـتي تمثـل بدايـة التـاريخ الفعليـة، إذ اعتبرهـا أقـدم مـا ينبئنـا بـه التـاريخ ويرجـع تاريخهـا إلى عـام 2357 ق.م**[3]، ونجـد هيجـل في دراسـته لتـاريخ الصـين يركـز علـى أهـم المميـزات والخصـائص لهـذه الامبراطوريـة، قصـد معرفتهـا والاطـلاع علـى الطابع العدم منها وتتجلى هذه الخصائص فيما يلي:

أ/ الوحـدة الجوهريـة: يعتقـد هيجـل أن الصـين ظلـت منـذ فجـر التـاريخ علـى الحـال الـذي عليهـا اليـوم حيـث يقـول: "المبـدأ العـدم هـو الوحـدة المباشـرة للـروح الجـوهري وللـروح الفـردي، وذلـك هـو روح العائلـة الـذي يمـد ليشـمل أعظـم الـبلاد وكثافـة السـكان"[4]، ومعـنى هـذا أن المبـدأ الـذي كـان سـائدا هـو انـدماج بـين الـروح الكلـي والفـردي ليجسـد لنـا روح العائلـة والـت يصـبح لهـا امتـداد لأكـبر عـدد ممكـن مـن السـكان،

---

[1] هيجل: العالم الشرقي، مج2، المصدر السابق، ص12

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص171

* يلحـق هيجـل مصـر بالامبراطوريـة الفارسـية لتكـون عبـارة عـن جسـر عـبرت منـه الـروح إلى المرحلـة الثانيـة وفي مرحلـة اليونـان والرومـان (هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص146)

** يعتمـد هيجـل في تـاريخ الصـين بالـذات علـى مجموعـة مـن الكتـب والوثـائق الصـينية القديمـة الـتي كتبهـا الصـينيون أنفسـهم (هيجـل: العـالم الشرقي، المصدر نفسه، ص14)

[3] هيجل: العالم الشرقي، المصدر نفسه، ص14.

[4] المصدر نفسه، ص15.

فالصـينيون في نظـره ينظـرون إلى أنفسـهم علـى أنهـم إلى ذاتهـم حيـث يقـر: " الأسـرة بمعناهـا الواسـع هـي الدعامـة الكـبرى الـتي عملـت علـى الـدوام الـتراث الأخلاقـي عنـدهم، إذ ظـل الأبنـاء يتوارثـون عـن أبـائهم القـانون الأخلاقـي جـيلا بعـد جيـل حـتى أصـبح هـذا القـانون هـو الحكومـة الخفيـة للمجتمـع الصـيني"[1]، مـا يتبـين أن الأسـرة هـي الخطـوة الأولى الـت يتقـدم الـدعم للدولـة والـتي تعتـبر هـب الأسـرة الكبـيرة أو امتـداد للأسرة الصغيرة والتي لا تكون فردية مستقلة لا داخلها ولا خارجها

أمـا العلاقـة السـائدة فهـي العلاقـة الأبويـة البطركيـة* الـتي تجعـل مـن الأب كـل شـيء ومـن الأبنـاء لا شـيء، ثم لا تجعـل العلاقـة واجبـا أخلاقيـا يتمثـل في طاعـة هـؤلاء الأبنـاء لوالـدهم فهـو يقـوم علـى أسـاس سـلطة الأب المطلقـة علـى جميـع أفـراد الأسـرة الكبـيرة الـتي هـي الدولـة[2]، مـا معنـاه أن هيجـل يجعـل مـن هـذا النظـام الصـورة العامـة للعلاقـات القائمـة في الصـين القديمـة، فعلـى جميـع المسـتويات يوجـد شـخص واحد مندمج فيها جميع الشخصيات الفردية.

في النظـام الصـيني القـديم لا مجـال للحـديث عـن حقـوق مـن أي نـوع وإنمـا الحـديث باسـتمرار علـى الواجبـات فمـثلا فعلـى الأبنـاء واجـب اتجـاه الأب، الأخ...الخ الأمـر نفسـه لـدى أفـراد الشـعب إذ يوجـد إلـيهم العديـد مـن الواجبـات اتجـاه الدولـة الـتي يعيشـون فيهـا أو الامبراطوريـة، وفي هـذا فـإن جميـع الحـالات هنـاك واجـب الطاعـة والإذعـان، لأن المبـدأ المـنظم لجميـع العلاقـة هـو مبـدأ أخلاقـي ومـن هنـا يـذكر الحكـيم الصـيني "شـوكنج shuking خمسـة واجبـات بوصـفها العلاقـات الأساسـية العظيمـة الـتي لا تتغـير وهي:

1. الواجبات المتبادلة بين الإمبراطور والشعب.
2. الواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء.

---

[1] وول ديورانت: قصة الحضارة، تر: محمد بدران، مج1، ج4، أحبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ص265.

* الأبويـة البطركيـة أو النظـام الأبـوي يعـني بصـفة عامـة هـو حكـم الأب مجموعـة أفـراد الجماعـة وهـو وراثـي يسـير في خـط الـذكور فقـط ويسـود هـذا النظـام عنـد القبائـل في آسـيا وإفريقيـا والصـين واليابـان، فهـو مـن الأنظمـة المنتشـرة علـى نحـو واسـع بـين القبائـل البدائيـة (هيجـل: العـالم الشرقي، مصدر سابق، ص79)

[2] المصدر نفسه، ص10.

3. الواجبات المتبادلة بين الأخ الأكبر والإخوة الصغار.

4. الواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة.

5. الواجبات المتبادلة بين الصديق وصديقه[1]

وما يتضح لنا أنه يعطي الأهمية إلى العاقات التي تكون قائمة بين أفراد الأسرة يقدم لها الأولوية باعتبارها الحجر الأساس الذي تقوم عليها الدولة فإذا كانت الأسرة صالحة فإن الفرد الذي سيكون ويعيش سيكون صالح، وبالتالي تشكل لنا دولة قائمة على أسس سليمة، وفي هذا القصد يقول كونفشيوس: "إذا قام البيت على أساس سليم أم العالم وسلم"[2]

ولهذا فإن هيجل يعرف الواجبات الأسرية بالتفصيل لا سيما علاقة الأب بأبنائه، كما نجد أن الأسرة تعترف للأب بسلطة وهيمنة تفوق الحد بل تبلغ أحيانا التقديس مثلا: لا يجوز للابن أن يبدا بالكلام إذا دخل أبوه الغرفة وإنما ينبغي عليه أن يتنحى ويتوارى بطريقة ما وليس له أن يترك الغرفة دون إذن من الأب.

ـ يتناول الأب عادة طعامه بمفرده فلا يدعو الزوجة أو الأبناء إلى المائدة إلا في أوقات نادرة.

ــ إذا مات الأب فعلى الأبناء أن يعلنوا الحداد لمدة ثلاث سنوات، وأن يمتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر، وأن يقوم بتعطيل أعماله حتى ولو كانت أعمال الدولة.

ـ لا يجوز أن يعقد قران في الأسرة طوال فترة الحداد[3]

أي أن السلطة كلها بيد الأب ويجب احترامه وتقديره واتباع العادات الموجودة وتقديم الأولوية له على حساب كل شيء، كما نجد نفس هذه الواجبات القائمة بين الأب وأبنائه، كذلك علاقة الأخ الأكبر بأخوه الأصغر من المفروض أن تكون نفس الاحترام القائم بينهم ولكن بدرجة أقل.

---

[1] المصدر السابق، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص18.

[3] المصدر نفسه، ص ص18، 19

ب/ جنة الذكور:

ففي هذا النظام القائم نجد المرأة لها وضع خاص في المجتمع الصيني بحيث لا مكان لها، إذ أن الأب يفضل أن يكون له ذكر عوض أن يرزق ببنات لأنهم يعتبرون عبء على الأب، كما أن المرأة تتعرض للإهانة والذل إذا لم ترزق بأبناء ذكور، وفي هذا يقول هيجل: "لقد كان من الأهداف الرئيسية للصينيين أن يكون لهم أبناء ذكور يشرفونهم في الجنازات ويحترمون ذكراهم من الموت، ويزينون لهم قبورهم"[1]، أي أن المجتمع مجتمع ذكوري، ولا تزال هذه السمات قائمة في المجتمع الشرقي رغم التطور الحضاري المعاصر.

ج/ إدارة الإمبراطور:

الإمبراطور في الصين يتربع على قمة البناء السياسي، يمارس حقوقه فهو أب للجميع وأمره من الواجب طاعته وتقديره واحترامه مفروض على الجميع، والذين هم جميعا متساوون، وشير هيجل أن المساواة المنتشرة بين أفراد المجتمع ليست هي المساواة الحقة بقوله: "إن الناس في بلادنا متساوون أما القانون وحده، وفي احترام كل منهم لملكية الآخرين، لكنهم يختلفون بعد ذلك من حيث أن لديهم الكثير من المصالح والامتيازات الجزئية الخاصة، التي لا بد أن تكون مكفولة إن كنا نريد أن يكون لدينا ما نسميه بالحرية، لكن هذه المصالح الخاصة في الامبراطورية الصينية ليس لها في ذاتها اعتبار وتعتمد الحكومة في إدارتها لشؤون الدولة على الامبراطور وحده الذي يحرك الحكومة"[2]، ما يتبين من هذا القول أن الامبراطور هو المركز الذي يدور حوله كل شيء ويعود ويرجع إليه كل شيء، فهو الذي يحرك شؤون الدولة، فالرخاء الذي يسود الدولة وسعادة أفراد الدولة تعتمد عليه، فلا بد أن تكون شخصيته شخصية قوية لأنه هو المحرك والروح المنشط للنظام، أما إذا كانت شخصيته ضعيفة فإنه لن يستطيع التحكم بزمام الأمور وبالتالي يؤدي هذا الأمر إلى انهيار النظام.

---

[1] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 128.

[2] المصدر نفسه، ص21

د/ التشريع:

في نظام التشريع نجد أيضا نفس الفكرة قائمة وهي الأب هو المشرع بحيث أنه هو من يقدم القرارات ويقر بالعقوبات وكذا يحدد القوانين التي تكون سائدة في الأسرة، حيث أنه يشرع بعض القوانين منها:

1/ ينظر إلى المواطنين على أنهم قصر فلا توجد طبقة مستقلة وإنما كل شيء يدار ويوجه نن أعلى

2/ لكل فرد الحق في أن يبيع نفسه أو أبناءه، وكل صيني يشتري زوجته

والملاحظ هنا هو سطحية العلاقات الأسرية

3/ أما العقوبات فهي بدنية[1]، حيث يقر بقوله: "الصينيين لم يعترفوا بذاتية الكرامة، فهم رعايا يخضعون للتأديب والتربية أكثر سأخضعهم للعقوبة..."[2]، وما يتضح أن الفرد لا يشعر بذاتيته فهو مقيد بشروط ومندمج في الأب بالإمبراطور مما يؤدي إلى طمس حريته وكذا يؤدي إلى انعدام شعوره بالمسؤولية، الأمر الذي يؤدي إلى عدم وجود أخلاق حقيقية.

وكما يقول "كانط" "أن الفعل الأخلاقي ليس هو ما يتفق مع مبادئ الأخلاق فحسب، بل ما ينبع من داخل الفرد وإحساسه بالواجب، والذي جعل من الإرادة الطيبة أو الخيرة أساس الأخلاق كلها حتى إذا لم يتمكن المرء من تحقيقها في العالم الخارجي[3]، ومعنى هذا أن الأخلاق الحقيقية هي التي تلتزم الشعور بالواجب، وأن ما يحسه الإنسان بأنه ذات حرة وهو الأمر الغائب لدى الصينيين كما يؤكد هيجل: "التفرقة بين الحرية والعبودية في الصين ليس كبيرة ما دام الجميع متساوون أما الامبراطور أعني أن الجميع متشابهون في المهانة، وبما أن الكرامة لا وجود لها بينهم وليس للفرد حقوق يتميز بها عن الآخر فإن شعور الذل والهوان هو الشعور السائد[4]، أي أن الامبراطور ينظر إلى جميع الأفراد بنفس

---

[1] هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص23

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، 134

[3] إيمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1965، ص118.

[4] هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص25

النظـرة فجمـيعهم يتعرضـون إلى الـذل والمهانـة وانعـدام الكرامـة بحيـث أن الأفـراد لا توجـد لـديهم حقـوق أو ميزات يتميزون بها.

و/ الدين:

بمـا أن الامبراطـور يمثـل الـرئيس الأعلـى للدولـة فإنـه أيضـا يعتـبر الـرئيس الأعلـى لـدين الدولـة، فالجانـب الـديني في الصـين امتـداد لانعـدام الفرديـة المتميـزة وللصـفة الأخلاقيـة متمثـل في ديانـة* foo المنتشـرة انتشـارا واسـع، فالديانـة الصـينية علـى حـد قـول هيجـل: "ليسـت هـي بالضـبط مـا نطلـق عليـه نحـن اسـم الـدين، فالـدين عنـدنا هـو العمـق الـداخلي للـروح في ذاتهـا بـأن تتصـور الـروح نفسـها في ذاتهـا، أي في أعمـق أعمـاق جوهرهـا... الـدين في الصـين لا يرتفـع إلى هـذه الدرجـة لأن الإيمـان الحقيقـي لا يكـون وجـود الأفـراد في ذاتهـم ولـذاتهم"[1]، أي عنـدما يكـون للأفـراد وجـود مسـتقل قـائم بذاتـه بعيـدا عـن كـل سـلطة قهريـة خارجيـة ولكـن الفـرد الصـيني لـيس لـه مثـل هـذا الاسـتقلال حـتى في الـدين فـالامبراطور وبمـا ان التجسيد الفعلي للسلطة وحده الذي يقترب من السماء أما باقي الأفراد لا يتمتعون بهذه الميزة.

ويعتقـد الصـينيون أن هنـاك روحـا حارسـة لكـل مقاطعـة، هـذه الأرواح الحارسـة تخضـع هـي الأخـرى لأوامـر الامبراطـور الـذي يمكـن أن يعزلهـا كمـا يعـزل البشـر في حـال وقـوع كـوارث في المنطقـة الـتي يشـرفون عليهـا، وبهـذا يصـبح الامبراطـور هـو المشـرع الخـاص للسـماء فضـلا علـى أنـه المشـرع الخـاص لـلأرض ويؤمنـون أيضـا بالخرافـات الـتي لا حصـر لهـا ويـرد هيجـل ذلـك إلى افتقـارهم للاسـتقلال الـذاتي الـذي يفترض مقدما كل ما هو مضاد لحرية الروح[2]

هـ/ العلم:

في هـذا المجـال يظهـر كـذلك نقـص الاسـتقلال الـذاتي فـالإمبراطور كمـا هـو الحـال في جميعـا لأنشـطة الأخـرى يتربـع علـى قـيم العلـم كلهـا، وعلـى الـرغم مـن ذلـك يبقـى العلـم في الصـين لـه قيمـة يعـني

* فوو ديانة تنظر إلى العدم على أنه الوجود الأعلى وتعتبر احتقار الفرد أعلى أنواع الكمال (هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص26)

[1] هيجل: العالم الشرقي، المصدر السابق، ص ص138، 139

[2] هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص192

بها تلقى التشجيع والتقدير، وإن كان ينقصه في نظر هيجل الأساس الحر للذاتية والاهتمام العقلي الذي يجعل منها عملا نظريا، فلا مجال هنا لملكة الفكر الحر، فالعلم هنا ذو طبيعة تجريبية يخدم منفعة الدولة ويلبي حاجاتها ومتطلباتها.

وهكذا ينتهي هيجل إلى أن لم يكن الصينيون على اهتمام حقيقي بالعلم وهذا ما يؤكده قائلا: "كان الصينيون متخلفين جدا في الرياضيات والفزياء وعلم الفلك... صحيح أنهم عرفوا أشياء كثيرة في وقت لم يكن فيه الأوربيون قد اكتشفوا فيه هذه الأشياء لكنهم لم يفهموا كيف يطبقون هذه المعرفة فاكتشفوا مثلا حجر المغناطيس، وفن الطباعة، لكنهم لم يتقدموا خطوة واحدة في سبيل استغلال هذه المكتشفات..."[1]، تلك هي طبيعة الشعب الصيني كما صورها لنا هيجل من جوانبها المختلفة، إذ أن السمة التي ميزتها هي بعدها عن كل ما يتعلق بالروح، أي عن الأخلاق الحرة النابعة من الداخل من أعماق الذات، كما أنها كانت بعيدة عن الوجدان الباطني في الدين والعلم

2/ الهند:

طبقا لسير قوانين الديالكتيك التاريخي تعتبر الهند الخطوة الثانية بعد الصين في مرحلة بداية التاريخ الذي كان طابعها العام انتقال الروح من الخارج إلى الداخل، وفيها نجد خلاف للصين اتحد للذاتية مع الوجود، أو مثالية الوجود وهي مثالية الحياة بغير تصورات أو مفاهيم محددة متميزة، صحيح أنها تبدأ من الواقع لكنها تحول كل شيء إلى خيال محض، فنحن أمام أحلام ليست أحلام ذات فردية بل أحلام الروح المطلق.

يشبه هيجل الروح الخالص في الهند بالبشرة الصافية للمرأة لا سيما عقب الولادة أو أثناء استغراقها في النوم فيقول: "مثل هذا الجدل نجده في أرواح .... في العالم الهندي وهو جمال الضعف أو الوهن الذي يدوي فيه كل اعوجاج وجمود ومقاومة بحيث لا يكون أمامها سوى نفس حساسة يمكن أن نرك فيها موت الروح الحر الذي يعتمد على ذاته"[2]

[1] هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص ص27، 28.

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص146

أ/ الـروح الحالمـة وخصائصـها: وهـو المبـدأ العـام في الهنـد والـتي فيهـا يعجـز الفـرد علـى أن يعـي نفسـه أو يفـرق بينهـا وبـين الموجـودات الأخـرى لكنـه عنـدما يسـتيقظ يصـبح وجـوده لذاتـه وتصـبح الموضـوعات الأخـرى تموضـعات خارجيـا مقـابلا لـه[1]، أي أن الـروح الحالمـة فيهـا الفـرد لا يصـبح أن يفـرق وتصـبح الأشياء أيضا أو ومختلف المواضيع مقابلة لوجود الفرد ذاته يحدث هذا الأمر بعد أن تستيقظ.

فـالنظرة الهنديـة هـي نظـرة وحـدة الوجـود العـدم، لكنهـا وحـدة وجـود لقـوة الخيـال لا للفكـر فهـذه الأحـلام مجـرد حكايـات خرافيـة، بـل إن الـروح تضـيع فيهـا ليترتـب عنـه أن تصـبح الأشـياء المتناهيـة إلهيـة وحـين يتحـول المتنـاهي إلى إلـه يفقـد ذاتـه وثباتـه وجوهريتـه فيسـتحيل تكـوين فكـرة عقليـة عنـه، وعلـى العكـس يصبح الإلهـي ملوثـا ومدنسـا ومشـوها ولغـوا بـاطلا، هـذا التأليـه العـام لكـل موجـود لا يجعـل تصـور الإلـه في تجسـيده أيـة قيمـة فمـثلا، الببغـاء والبقـرة في الهنـد تجسـيدات الله، لكنهـا لـن ترتفـع فـوق طبيعتهـا[2]، ومـا نفهمـه همـا هـو خلـو وجهـة النظـر الهنديـة مـن المعقوليـة فـلا علـة ولا معلـول كمـا أن الإنسـان يفقـد حريتـه ووجـوده الحـر وشخصـيته، فحالـة الحلـم الـتي عاشـتها الهنـد جعلتهـا منغلقـة علـى ذاتهـا، بحيـث لم تخرج من القوقعة التي كانت فيها حتى أنها لم تقم بأية فتوحات خارجية.

كمـا يـرى هيجـل بـأن الهنـد لم تقـم بـأي فـتح بـل كانـت هـي نفسـها ميـدانا للغـزو الخـارجي باسـتمرار حيـث أنهـا كانـت أرضـا مرغوبـة ومليئـة بـالكنوز دخلهـا الاسـكندر الأكـبر في العـالم القـديم كمـا غزاهـا الاوربيـون (الانجليـز في العصـر الحـديث) حيـث يقـول "لأن القـدر المحتـوم للامبراطوريـات الأسـيوية أن تخضع الأوربية وسوف تظهر الصين، في يوم من الأيام وأن تستسلم لهذا المصير..."[3]

ب/ الحياة السياسية:

تجـد في الهنـد أن التـاريخ يسـير إلى الأمـام بطريقـة ديالكتيكيـة حسـب تراتـب مراحـل التـاريخ مـن الوحـدة إلى الاخـتلاف ومـن الـدمج إلى الانفصـال وهـذا هـو التقـدم الـذي أحرزتـه الهنـد، لكـن هيجـل يـذكر أن مـا تتضـمنه الحيـاة السياسـية في الهنـد مـن انفصـال واخـتلاف يرتـد إلى الطبيعـة ولـيس إلى الـروح ويعـبر

[1] المصدر السابق، ص146

[2] هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص30

[3] المصدر نفسه، ص31

عـن هـذا بقولـه: "إنـه في كـل دولـة عقلانيـة توجـد تمييـزات ويقـوم الأفـراد مـن ذاتهـم بوضـعها لكـن الحريـة، والـذات الأخلاقيـة الباطنيـة لا وجـود لهـا يفـي الهنـد وهكـذا ظلـت التمييـزات الطبقيـة في الهنـد مثـل الوحـدة الصـارمة في الصـين علـى نفـس المرتبـة الأصـلية مـن الجوهريـة أي أنهـا ليسـت نتيجـة للذاتيـة الحـرة للأفـراد"[1] مـا يتبـين مـن هـذا هـو غيـاب الحريـة وغيـاب الـذات في الهنـد، بحيـث لا توجـد اسـتخلاقية يكتسـبها الأفـراد أو ذات استخص بل ما يوجد هو تميزات طبقية مصدرها الأساسي هو الطبيعة.

ووفقـا للأسـطورة الـتي تـروي نشـأة الهنـد مـن "البراهمـا brahma نجـد أن نظـام الطبقـات في الهنـد كما يلي:

أ/ الطبقة الأولى تمثل العنصر الإلهي وهي طبقة البراهما وقد خرجت من فهمه.

ب/ الطبقة الثانية تمثل عنصر القوة والسيدة وهي طبقة المحاربين والحكام وهي قد خرجت من ذراعيه.

ج/ الطبقـة الثالثـة الـتي تعـني بمسـائل الحيـاة وإشـباع الضـرورات الزراعيـة والحـرف والتجـارة وهـي طبقـة الفزيـا، وقد انحدرت من حقوبه.

د/ العلاقـة الرابعـة وهـي عنصـر الخدمـة أو طبقـة الخـدم، وهـي مجـرى أداة لراحـة الآخـرين فمهمتهـا العمـل مـن أجـل الآخـرين وهـي الطبقـة "الشـودرا sidra وقـد انحـدرت مـن قدميـه[2]، ونجـد هيجـل يفـرق بـين الطبقـات الموجـودة في الهنـد الـتي شـبهها النظـام الإقطـاعي في العصـور الوسـطى ونظـر هيجـل أنـه لا وجـود للأخـلاق والعدالـة ولا وجـود للجوانـب الإنسـانية اللامحبـة واللاعاطفـة ولا عدالـة بـين هـذه الطوائـف، أمـا الأخلاق والكرامة فهي مجهولة عنده.

ويضـرب هيجـل الكثـير مـن الأسـئلة علـى انعـدام الوجـود الأخلاقـي الـذي يتضـمن احـترام الحيـاة البشـرية عنـد الهنـود منهـا أن الزوجـة تحـرق نفسـها عقـب وفـاه زوجهـا[3]، يقـول أحـد الانجليـز: "إنـني لم أجـد بينهم رجلا شريفا فالأطفال عندهم لا يحترمون آباءهم والأبناء يسيئون معاملة أمهاتهم[4]

---

[1] المصدر السابق، ص ص31، 32

[2] المصدر نفسه، ص32

[3] المصدر نفسه ص34

[4] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص170.

أمـا بالنسـبة للدولـة فـيرى هيجـل أنـه لا وجـود للدولـة في الهنـد فهنـاك شـغب فحسـب، ومـن ناحيـة أخـرى إذا كـان الاسـتبداد في الصـين أخلاقيـا وفي الهنـد تعسـفيا واسـتبداديا حيـث يقـول: "يوجـد في الهنـد اكثـر ألـوان الاسـتبداد تعسـفا وفسـادا وانحطاطـا... وآسـيا بصـفة عامـة هـي مسـرح الاسـتبداد بمعنـاه السـيء ففـي الهنـد نجـد أن الاسـتبداد شـيء عهـادي لأنـه لا يوجـد أي إحسـاس ذاتي بالاسـتقلال الشخصـي يمكـن أن نقـارن بينـه وبـين الاسـتبداد"[1]، مـا نفهمـه هـو أن الهنـد لا يوجـد فيهـا شـيء حقيقـي أو محـدد، بـل قـوة الخيال فيها تحول كل شيء إلى ضد

3/ الإمبراطورية الفارسية:

يقسـم هيجـل آسـيا إلى قسـمين، الأول هـي آسـيا البعيـدة والـتي تضـم الصـين والهنـد والثانيـة آسـيا القريبـة فهـي تتضـمن الجـنس "القوقـازي" أي العـرق "الآري" لهـذا السـبب هـي أرقـى في نظـر هيجـل وتمتـد الامبراطورية الفارسية لتشمل حشدا هائلا من الأمم.

ويعتـبر هيجـل أن فارسـا تمثـل في النظـام الـديالكتيكي التركيـب والتـأليف لأنهـا تجمـع الصـين والهنـد معـا، ومعهـا يظهـر لأول مـرة ذلـك النـور الـذي يشـرق لذاتـه، ويغـير مـا حولـه لأن النـبي "زرادشـت zerdisht ينتمي إلى عالم الوعي وإلى الروح كعلاقة متميز عنها[2]

إن النقطـة الرئيسـية الـتي ينطلـق منهـا هيجـل في دراسـته للإمبراطوريـة الفارسـية هـي الديانـة الزرادشـتية فهـي لا تغـير موضـوعات الطبيعـة الفرديـة، وإنمـا تعبـد الكلـي ذاتـه فمـثلا يمثـل "أهرومـزادا* ahromenzad مملكـة النـور والخـير الـتي جـاءت عبـادة النـار عنـدهم أمـا :أهرمـان** ahriman فهـو

[1] هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص35

[2] المصدر نفسه، ص38.

* أهرومـزادا: كلمـة مركبـة مـن ثلاثـة كلمـات هـي: أهـو- زا- مـزادا، ومعناهـا علـى التـوالي أنـا الوجـود –الخـالق- (هيجـل: العـالم الشـرقي، مصدر سابق، ص152)

** أهرمان: كلمة تعني الخبيث أو القوى الخبيثة (هيجل: العالم الشرقي، مصدر سابق، ص156).

الشـر والظلمـة[1]، يـرى هيجـل بأنـه تنتمـي إلى صـميم الـروح والثنائيـة تنتمـي إلى فكـرة الـروح ويـرى هيجـل أن التعدد يتضمن تدمير الروح لوعيها وللجانب الروحي بصفة عامة تسعى لتوحيد نفسها مع الطبيعة.

أمـا النقطـة الثانيـة فهـي عبـادة "أدونـيس adonis الـتي كانـت قائمـة في المـدن، ومـع اليهوديـة حسـب هيجـل يتقـدم الـدين خطـوة أخـرى، ففكـرة النـور تصـبح الواحـد الخـالص، وهنـا تهـبط الـروح إلى أعمـاق وجودهـا الخـالص[2]، مـا يتبـين أن الطبيعـة الـتي كانـت هـي الأسـاس في الشـرق نزلـت إلى مرتبـة الكـائن المخلـوق فـالله هـو سـيد الطبيعـة وخالقهـا، كمـا تتحـرر الـروح عـن مـا هـو مـادي ومحسـوس ليصـبح الفكر حر من أجل ذاته.

4/ مصر:

يـرى هيجـل أن الـروح المصـرية هـي المركـب الـدياليكتيكي النهـائي في تـاريخ العـالم الشـرقي فهـي الجسـر الـذي عـبرت منـه مـن الشـرق إلى الغـرب وهـي تسـتدعي حسـب هيجـل الانتبـاه بصـفة خاصـة لـيس لأنهـا أرض فحسـب بـل لأنهـا تمثـل النتيجـة النهائيـة لعمـل يفـوق في ضـخامته كـل مـا خلفـه القـدماء فالعناصر التي كانت موجودة فرادى فارس توحت في مصر[3]

ويـرى هيجـل أن المهمـة الـتي قامـت بهـا مصـر هـي توحيـد المتناقضـات*، وفي هـذا البـاب يركـز علـى "أب الهـول" واذي يـرد فيـه رمـز الله للـروح المصـري وعلـى إبـراز وحـدة الارتبـاط بـين مـا هـو مـادي أو طبيعـي عنـد المصـريين، ومـما زاد في شـأنهم عـن هيجـل عـن الـذين سـابقوها هـو اعتقـادهم بـأن الـنفس البشـرية خالـدة، مـا يتبـين لنـا هـو اعتقـاد المصـريين بخلـود الـنفس أدى إلى تحنـيط الإنسـان، كمـا نجـد أن فكـرتهم

[1] المصدر السابق ص156.

[2] المصدر نفسه، ص202

[3] المصدر نفسه، ص207.

* الـتي قامـت مصـر بتوحيـدها هـو مبـدأ طـور نفسـه أطـوار متباينـة، فـانغمس في الحسـابية البـابليين والسـوريين أحيانـا ثم ظهـر كـوعي أولي للـروح العيـني في عبـارة "أودنـيس" أحيانـا أخـرى لكـن كـان ينقصـه وحـدة العيـني، وظهـر فكـر خـالص عنـد اليهـود، وكـان ينقصـه العيـني نفسـه (هيجـل: العالم الشرقي، المصدر نفسه، ص 207)

تتضـمن أن الفـرد يمتلـك في ذاتـه قيمـة لا متناهيـة، الأمـان الـروح المصـري هـي أنهـا روح غارقـة في الطبيعـة والرغبة الملحة في التخلص منها.

وبعـد مرحلـة الحضـارات الشـرقية والـتي مثلـت المرحلـة الأولى يـرى هيجـل أن أولى صـور انتقـال الـوعي مـن المرحلـة الأولى إلى المرحلـة الثانيـة هـي مرحلـة وسـط التـاريخ (اليونـان والرومـان) والـتي تمثـل في قانون الجدل الهيجلي نقيض المرحلة الأولى، فما طبيعة الجدل في تطور هذه المرحلة؟

1/اليونان:

يسـمي هيجـل هـذه المرحلـة بمرحلـة البـاب، وهـي مرحلـة حافلـة بالصـراع إذ نجـد العـالم اليونـاني يتميـز عـن العـالم الشـرقي مـن خـلال انبثـاق الـوعي بالحريـة لأول مـرة، وقـد عـبر هيجـل علـى إعجابـه بحيـاة اليونـان وفلسـفتهم وآدابهـم وعقائـدهم وأسـاطيرهم إعجابـا كبـيرا، وهـذا مـا قالـه: "إن اسـم اليونـان يثـير النشوة في قلوب المثقفين من أهل أوربا ولا سيما في قلوبنا نحن الألمان"[1]

ويعتقـد هيجـل أن المرحلـة اليونانيـة تمثـل ذروة تطـور الـروح في الزمـان التـاريخي، إذ يوظـف مفهـوم التطـور في دراسـته لهـذه المرحلـة كثـيرا ولكـي نفهـم هـذا المفهـوم جيـدا في الحضـارة اليونانيـة ينبغـي علينـا أن نميـز بـين حـالتين، الأولى بـالقوة والثانيـة بالفعـل بلغـة "أرسـطو" أو الوجـود في ذاتـه والوجـود لذاتـه، وهـي سـنة التطـور التـاريخي، فمـا يكـون ضـمنيا في بدايـة التـاريخ يظهـر ويكتمـل في نهايتـه[2]، مـا نفهمـه هـو أنـه مـا كـان وجـودا ضـمنيا في بدايـة التـاريخ لا بـد أن يصـل إلى الـوعي عـبر سلسـلة مـن حلقـات التطـور، وهـي الـتي يسـميها هيجـل بالصـيرورة الموضـوعية والـتي يكـون فيهـا هـذا الوجـود الصـمتي أولا مـن أجـل ذاتـه، ثم يصبح فيها في المرحلة الثانية لذاته.

وهـذا مـا أكـده ولـتر سـتيس أن هيجـل يركـز علـى فكـرة التطـور والـتي يؤكـد مـرارا وتكـرارا، ويقـوم بعرضـها وتفسـيرها فمـا يقـول علـى أنـه ظهـور صـريح لمـا هـو كـامن أو مـا يوجـد في الشـيء داخلهـا هـو مـا يظهـر إلى العلـة الصـريح ونظـام الوجـود، ولا شـك أنـه يطـرأ عليـه عـدة تغيـيرات وتحـولات ولكنـه مـع ذلـك

[1] نقلا عن: إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص51

[2] هيجل: تاريخ الفلسفة، مج3، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مديولي، القاهرة، 1998، ص220

هـو نفسـه، حيـث يقـول: "طـول مسـار التطـور كلـه يظـل الصـمتي مسـيطرا بعضـا نـص الجوهريـة البـارزة وسماتـه الأساسـية، فالنبـات مـثلا لا يفقـد لنفسـه أثنـاء عمليـة النمـو سـواء كـان موجـود بـالقوة أو بالفعـل، فهو مفطور على التطور الكامن في وجوده الكامن في وجوده الصمتي البحث"[1]

كمـا تـتم عمليـة التطـور أيضـا في عـالم الـروح وفي التـاريخ وهـي أسـاس فيـه، إذ أن الـروح تكـون في البدايـة في ذاتهـا حريـة ضـمنية، والتـاريخ هنـا يمثـل المسـار الـذي تكـافح فيـه الـروح كيـف تكـون حـرة أصـلية، وهـذا يعـني أن الـروح وتكـون في صـراع جـدلي لتصـل إلى مرجعـه الـوعي الـذاتي، حيـث يقـول: "إن وصـول الـروح إلى ذاتهـا يمكـن أن يوصـف بأنـه الغايـة العليـا الـتي تسـعى إليهـا فجميـع الأعمـال والأنشـطة الاتي تقـوم بهـا الـروح في التـاريخ، إنمـا هـي كفـاح وصـراع بغيـة أن تعـرف نفسـها وأن تجعـل مـن نفسـها، وأن تعثـر علـى ذاتهـا لكـي تكـون مـن أبـرز ذاتهـا وبهـذه الطريقـة تسـتطيع الـروح بلـوغ حريتهـا ذلـك لأن مـا يكـون حـر هـو مـالا يـرتبط بـالآخر ومـا لا يعتمـد عليـه، والفكـر وحـده هـو الـذي يمكـن الـروح مـن بلـوغ مرحلـة الحريـة"[2]، أي أن الفـرد في هـذه المرحلـة يؤكـد ذاتـه لذاتـه، ولم يعـد ينظـر نفسـه علـى أنـه مجـرد جـزء مـن الكـل الـذي ينتمي إليه، بل أن الفرد نتيجة لذلك وقع في الاغتراب*.

ويـرى هيجـل أن التـاريخ البشـري هـو صـراعات كمـا مثلتـه هـذه المرحلـة (حـروب البليـونيز) مـن أجـل انتـزاع اعـتراف الآخـرين، فهـي ليسـت صـراعات حيوانيـة الـتي يكتفـي فيهـا المحـاربون باصـطياد رؤوس الآخـرين، بـل هـي صـراعات مـن أجـل إثبـات الـذات واعـتراف الآخـر بالأنـا، وهـذا مـا يؤكـده بقولـه: "الصـراع البشـري هـو صـراع يقـوم بـه طوفـان يريـد كـل منهمـا أن يثبـت ذاتـه ويؤكـدها باعتبارهـا فـوق مسـتوى الحيـاة الحيوانيـة الصـرفة"[3]، ويعـني هـذا أن الـوعي في هـذه المرحلـة مـن مراحـل الجـدل التـاريخي وحدة مباشرة، بحيث تجمع الفرد والجماعة والتي اعتبرها هيجل مرحلة الانسجام الأخلاقي.

---

[1] ولتر ستيس: فلسفة هيجل، مج2، مرجع سابق، ص48

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص34

* الاغتراب يستخدم هيجل entasseung وهي تعني تنازل المرء اللاإرادي عن ملكيته الخاصة، والاغتراب عند هيجل هو مرحلة الانفصال التي تنبثق من الوحدة البسيطة ثم تعود من جديد إلى التوافق في وحدة أعلى متمايز (ميخائيل أنوور: معجم مصطلحات هيجل، مصدر سابق، ص79)

[3] إبراهيم زكريا إبراهيم: هيجل والمثالية الألمانية المطلقة، مرجع سابق، ص220.

وبناء على هذا نجد هيجل نبذ المجتمعات الشرقية وأعجب بالمجتمع اليوناني، حيث أضف على المدينة اليونانية وثقافتها بصمة الروح إذا رفع من شأن مستويات العقل كذلك لا في الفلسفة والعلوم فقط بل وحتى في الفن أيضا، حيث يقول: "إن عقلية الفنان التشكيلي اليوناني تتخذ إلى لب الحجارة الرخامية وتحولها إلى أعمال فنية تكاد تنطق بظهر على المادة الجامدة دلالة روحية وتعبيرا إنسانيا"[1]، أي أن هيجل يغتر بالموروث الثقافي اليوناني ورأى بأن الروح المطلقة عند اليونان أصبحت تعبر عن ذاتها، كما رأى هذه الروح ترتقي وتسمو لتصبح روح أخلاقية وهذا راجع إلى كون المواطن اليوناني استشعر الحرية وعاشها في مدينته، إذا يتبين تعصبه وإعجابه بالديمقراطية اليونانية، بحيث تتكامل سيادة الدولة وحرية مواطنيها، حيث أقر بأن آلهة اليونان ساعدت الشعب على الإزدهار وعلمته كيف يتحرر ويبدع الديمقراطية ويمارسها.

والملاحظ على هيجل في فلسفة التاريخ يعود دائما إلى الحديث عن المدينة الاغريقية القديمة بعظمة الشعب اليوناني، إذ أن المدينة الاغريقية كانت تعبر عن العالم الأخلاقي في أعلى درجاته، ولكن كيف تم الانتقال من دولة المدينة إلى الإمبراطورية الرومانية؟ وكيف تم التوحيد بينهم في وحدة جدلية واحدة؟

2/ الرومان:

يرى هيجل أن في العالم الروماني ساد القانون المجرد للمجتمع وفقد أفراده كل علاقة روحية شخصية بالحياة الإجتماعية، إذ أصبح المواطنون عبارة عن مجموعة من الذرات الفردية إذ لم يلبث الفرد حتى وجد نفسه مضطرا إلى الانطواء على ذاته وعلى الاهتمام بمصالح الشخصية، فلم يعد يعتبر الدولة سوى مصدر خارجي.

وعلى نظرة هيجل فإن الامبراطورية الرومانية ليست دولة بل هي مجرد تركة يسع بها شخص واحد هو الامبراطور، الأمر الذي أدى بالمواطنين الرومانيين يظهرون الكثير من المصالح الإجتماعية، وما هو ما جعلها بمثابة انتصار الفرد، حيث يقول هيجل: "إن المتأمل في المجتمع الروماني يلاحظ أنه مجتمع قد حل فيه مفهوم الشخص الردي محل مفهوم المواطنين، فأصبحت ماهية الحرية عنده محصورة

[1] إبراهيم زكريا إبراهيم: هيجل أو المثالية المطلقة، المرجع السابق، ص ص113، 114.

بتماهيها في الذاتية الخالصة مشبها إيها بتناقض المجرد والعالم العيني، وهذا التناقض نفسه يعود فيظهر أمامنا من جديد على مستوى الروح الموضوعي متخذا تعارضا حادا بين الشخصية المجردة من جهة والدولة من جهة أخرى"[1]، حسب هيجل أن العالم الروماني لم يعد سوى تعبيرا عن فردية اجتماعية يتحكم فيها عاملان الأول سيدة الدولة والثاني، الملكية الفردية وهما الذي بنى عليهما النظام الاجتماعي مبينا العلاقات القائمة بين الأفراد فيه

وحينما أصبحت الامبراطورية الرومانية مجرد دولة كبرى يحكمها فرد واحد وتسودها قوة مطلقة، وهي قوة الامبراطور، فإن الأفراد لم يلبثوا أن أصبحوا ينظرون إلى تلك الدولة على أنها عالم غريب عنهم، قائم بذاته في استقلال تام عن إرادتهم[2]، وبعد هذا أصبح القانون مجرد سجل مدني ينص على ملكيات الأفراد، ومهما يكن من شيء فإن التعارض الذي نشأ في ظل الحكم الروماني بين الفرد والدولة، أو بين النظام الجماعي والحرية الفردية لم يلبث حتى ازداد عمقا وشدة، فأصبح تناقض قائم بين عالمين، ويقسم هيجل الروح المغتربة إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ/ عالم الروح حين يغترب عن ذاته من خلال الثقافة والإيمان

ب/ عصر التنوير في صراعه مع الخرافة

ج/ الحرية المطلقة[3]

من هذا التقسيم يتضح أن هيجل يشير إلى فترة حضارية تاريخية طويلة، حيث كانت الفنون والأديان والأفكار في بداية التاريخ بسيطة، إذا لم تستطع أن تعبر عن المضمون الروحي للعالم، فالإنسان الشرقي مثلا لم يكن يتوفر على قدرة الانفصال عن الأشياء لينتج فلكرة أو يستخلص مفهوما، حتى أصبحت فنونه أسيري لخبراته الحسية المباشرة على عكس اليونان والرومان

[1] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص151.

[2] عبد الفتاح الديدي: نوابغ الفكر الغربي هيجل، دار المعارف، مصر، 1968، ص53.

[3] زكريا إبراهيم: هيجل أو المثالية الطلقة، مرجع سابق، ص335.

فاليونـان والرومـان في نظـر هيجـل أنجـزوا المهمـة الـتي أخفـق الشـرقيون في إنجازهـا، حيـث سـتظهر عنـدهم الفنـون الحقيقيـة المعـبرة أو سـتظهر الـديانات الفرديـة الروحيـة علـى أنقـاض الـديانات الطبيعـة[1]، كمـا يـرى هيجـل بـأن الإغريـق قـد أفلحـوا في إدراك معـنى الحريـة وظهـر لأول مـرة التفكـير الفلسـفي كنشـاط أسمـى مـن الفـن والـدين، لأنـه خطـوة أكثـر تقـدما في إدراك الحقيقـة والمطلـق كمـا هـي بوصـفها عقـلا خالصـا، حيـث يقـول: "ورثـوا الرومـان التركـة المتنوعـة ليـدفعوا بهـا إلى أعلـى درجـات التنظـيم، حيـث نأخـذ الأفكـار والتصـورات والتحلـيلات بعـدا واقعيـا في مؤسسـة الدولـة والمجتمـع المـنظم"[2]، ومـا يتبـين أن هيجـل قـد نظـر إلى مـا حققتـه الرومـان يعتـبر إنجـازا، والـذي بـدوره سـينتقل إلى الغـرب والـذي يجسـد ويمثـل القمـة في تطوير الإمكانيات من أجل الاقتراب من الهدف النهائي للتاريخ.

فبعـد هـذه المرحلـة أو بعـد هـذه الخطـوة الجدليـة التاريخيـة يفـتح المجـال للخطـوة الثالثـة وهـي خطـوة التـأليف أو التركيـب ألا وهـي مرحلـة نهائيـة للتـاريخ والـتي يسـعى إليهـا العقـل والـروح في التـاريخ معـا، ألا وهـي الأمـة الجرمانيـة* والـتي يعتبرهـا هيجـل آخـر مراحـل التـاريخ**، وهـي في نظـره أولى الأمـم، والـتي تصـل إلى الـوعي الكامـل باعتبـار أن الإنسـان حقـق خلالهـا حريتـه والطـرق الـتي اسـتخدمتها الـروح للوصـول إلى هذه المرحلة.

وعلـى الـرغم مـن أن الموضـوع الحقيقـي للتـاريخ هـو الكلـي لا الفـردي ومضـمونه الحقيقـي هـو تحقـق الـوعي الـذاتي للحريـة لا مصـالح الفـرد وحاجاتـه وأفعالـه، إلا أن أفعـال النـاس تصـدر عـن حاجـاتهم وانفعـالاتهم ومصـالحهم الخاصـة كمـا يعتقـد هيجـل، إذ يعتـبر أن محـرك التـاريخ هـو إشـباع الرغبـات الأنانيـة

[1] زكريا إبراهيم: هيجل أو المثالية المطلقة، مرجع سابق، ص335.

[2] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص154

* الجرمانيـة المقصـود بهـا مجموعـة مـن الأجنـاس الأوربيـة تغلـب في شـعوب السـويد والنـرويج والـدنمارك وايسـلندا والنمسـا وسويسـرا وهولنـدا وبلجيكـا، جـاء وصـفهم في أعمـال قيصـر، وقـد انتشـروا وأصـبحوا مصـدر متاعـب للامبراطوريـة الرومانيـة قـديما 'هيجـل: العقـل في التـاريخ، مصدر سابق، ص167)

** كمـا يقابلهـا هيجـل بمرحلـة الشـيخوخة وإذا كانـت الشـيخوخة في الطليعـة تعـني الهـرم والضـعف، فـإن شـيخوخة الـروح تعـني نضـجها وقوتهـا الكاملـة الـتي تعـود فيهـا إلى الوحـدة مـع نفسـها، لكـن في طابعهـا المكتمـل تنمـو بوصـفها روحـا (هيجـل: العقـل في التـاريخ، مصـدر سـابق، ص194)

قـائلا: "لـيس مـن شـك أن حاجـات الأفـراد ومصـالحهم هـي الدافعـة إلى كـل سـلوك تـاريخي، وأن تحقيـق الفـرد هـو الـذي ينبغـي أن يحـدث في التـاريخ"[1]، معـنى هـذا أن كـل مـا يتحقـق في التـاريخ مـن مبـادئ وأفكار فهو يحتاج إلى منفعة ذاتية، أي رغبات واهتمامات شخصية للأفراد هي من تحرك التاريخ.

وهنـا يشـير هيجـل إلى فكـرة هامـة وهـي أن فكـرة التـاريخ تتحقـق باسـتمرار عـن طريـق الجـدل في شـكل أضـداد، لأن طبيعـة الـروح في الأصـل هـي مجـردة موجـودة بـذاتها أو بـالقوة، لم تظهـر في العـالم الخـارجي لأنهـا كانـت تحتـاج إلى مـن يظهرهـا بالفعـل وإلى مـن يحولهـا مـن الإمكـان إلى التحقـق الفعلـي[2]، كمـا يـرى أيضـا أنـه لم تـتم اتخـاذ الجانـب الـذاتي مـع الغايـة العامـة للدولـة، بحيـث يتـيح لكـل منهمـا إشـباعه وتحققـه الفعلـي في الآخـر، فـإن الدولـة تكـون قـد تأسسـت تأسيسـا قويـا حيـث يقـول: "اللحظـة الـتي تصـل فيهـا الدولـة إلى هـذا الإنسـجام بـين المصـلحة الخاصـة للمـواطنين والمصـلحة العامـة للدولـة هـي فـترة ازدهارهـا وقوتهـا، ولكـي ينجـز هـذا الفعـل بشـكل منسـجم يحتـاج إلى صـراع طويـل يقـوم بـه ليكشـف عـن الـنظم السياسـية الـتي يتحقـق فيهـا الإنسـجام كمـا يحتـاج إلى تربيـة وتـرويض الحاجـات الانانيـة والمصـالح والانفعـالات الجزئيـة"[3] مـا يتبـين لنـا أن الدولـة تقـوم في النهايـة مـن خـلال الـديالكتيك الجزئـي والكلـي المجـرد الـذي بـدوره يـألف النسـيج الخـارجي، فكـل مـن الجزئـي والكلـي يـؤدي كـل منهمـا دوره إلى الآخـر، كمـا هـو الحال في الانفعالات الجزئية والتي أدت إلى ظهور قوانين كلية.

وفي هـذا الصـدد يقـول روجيـه غـارودي: "إن مثاليـة هيجـل تفـترق عـن مثاليـة فيشـته وغيرهـا مـن المثاليـات التأمليـة، مـن حيـث أن هيجـل لا يفـرض فكـرة علـى التـاريخ وإنمـا يصـور العلاقـة الديالكتيكيـة بـين المثـالي والـواقعي كمـا يلاحظهـا في التـاريخ، ولهـذا فإننـا نجـده في دراسـته (العقـل في التـاريخ) يعـرف عظمـاء الرجـال أنهـم أولئـك الـذين يعفـون متطلبـات اللحظـة الراهنـة أو مـا هـو ضـروري فيهـا"[4]، إن يجـل هنـا نجـده لم يعـبر عـن العلاقـة بـين المثـالي والـواقعي في جـدل سـكوني أو مكـاني وإنمـا في شـكل صـيرورة مسـتمرة، أمـا

[1] المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص52

[3] المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[4] روجيه غارودي: فكر هيجل، تر: إلياس مرفص، دار الحقيقة، بيروت، 1983، ص53

الـروح والواقـع ففيهمـا تتحقـق وحـدة الإرادة الذاتيـة والإرادة الموضـوعية، وتتجلـى هـذه الوحـدة في الكـل الأخلاقـي أو الدولـة، فهـي وحـدها الحقيقـة الواقعيـة الـتي يجـد فيهـا الفـرد حريتـه الخاصـة، بشـرط أن يعـرف ما هو مشترك بين الكل، من هنا كانت الدولة هي التحقق الفعلي للحرية لتبلغ مرتبة الموضوعية.

فتحقيـق الحريـة هـو بمثابـة خاتمـة التـاريخ ونهايتـه، حيـث تتخـذ الجانـب الـذاتي وسـيلة لهـذا التحقـق والصـورة الـتي تتحقـق فيهـا هـي الدولـة بوصـفها الكـل الأخلاقـي الـذي يضـم في آن واحـد الجانـب الـذاتي والموضـوعي[1]، ويـرى هيجـل أيضـا أن نشـاط الـروح كلـه لـه غايـة وهـي أن تصـبح الـروح واعيـة، وتصـل إلى الـوعي بـالروح المطلـق والشـكل الثـاني لوحـدة الجانـب الـذاتي والجانـب الموضـوعي هـو الفـن والصـورة الثالثـة لهـذا الاتحـاد هـي الفلسـفة[2]، معـنى ذلـك أن الدولـة تـرتبط عنـد هيجـل ارتباطـا وثيقـا في نهايـة التـاريخ (المطلـق) بـالفن والـدين والفلسـفة، فهـذه الجوانـب كلهـا هـي مـا يسـمى بـالروح الجزئيـة المعـين الخالصـة لشعب من الشعوب، تتغلغل في الأنشطة المختلفة لهذا الشعب.

ومـن هنـا فـإن الشـعب المتخلـف سياسـيا لا يمكـن ان ينـتج فينـا أدبـا وفلسـفة، ولا تظهـر الفلسـفة إلا حيـث توجـد الحيـاة السياسـية المتشـبعة بالفلسـفة، كمـا يقـول هيجـل: "هـي المرحلـة الـتي يصـل فيهـا العقـل الكلـي إلى الـوعي بذاتـه، وهـي لا تبـني مجتمعـا مـن لا شـيء ولا تخلـق نظامـا مـن العـدم لأن بومـة منـير فـلا تبـدأ في الطـيران إلا بعـد أن يـرى في الليـل سـدوله"[3]، أي أن الفلسـفة هـي التعبـير الصـريح والمباشـر عـن قمـة التـاريخ ونهايتـه، وهـذا مـا جعـل كـل إنجـازات المـرحلتين السـابقتين تظهـر في المرحلـة الأخـيرة مـن مراحـل التـاريخ ليكـون موطنـا للأمـة الجرمانيـة، والـتي تمثـل مرحلـة الشـيخوخة للتـاريخ ونهايتـه بمفهوم عقلي عند هيجل.

وفي نظـر هيجـل فـإن الأمـة الجرمانيـة هـي وحـدها الـتي ارتفعـت لأول مـرة إلى الشـعور والـوعي بهـذه الحقيقـة، وهـي أن الإنسـان حـر بمـا هـو إنسـان رغـم أن الـنظم السياسـية لم تخضـع إلى هـذا المبـدأ في أول الأمـر إلا أن هنـاك فـترات حاسمـة بـدأت مـن أجـل هـذا الـوعي بعـد عصـر الإصـلاح الـديني، والـذي يـراه

[1] أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص208.

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص54.

[3] المصدر نفسه، ص5.

هيجـل بمثابـة الثـورة الجرمانيـة في مقابـل الثـورة الفرنسـية[1]، حيـث يقـول هيجـل: "الحريـة وجـدت في العـالم الجرمـاني وهـي الـتي تحقـق بهـا مثلهـا الاعلـى أو وجودهـا الحقيقـي، تلـك هـي غايـة التـاريخ النهائيـة وتلـك هـي النتيجـة الـتي يتجـه مـن أجلهـا مسـار التـاريخ إلى انجازهـا مـن الشـرق ليصـب في النهايـة في قلـب الغـرب في ألمانيا"[2]

ويعتـبر هيجـل هـذه المرحلـة أيضـا مرحلـة كليـة مجـردة امتصـت في جوفهـا جميـع الغايـات الفرديـة، إنمـا الدولـة الجرمانيـة الـتي لم تخضـع لنـزوات الحـاكم بـل عملـت مـن أجـل غايـة عامـة يعـي فيهـا الفـرد ذاتـه، ويشـارك الأفـراد في تحقيقهـا بالفعـل لا بـالقوة، فالدولـة الجرمانيـة ليسـت هـي نفسـها دولـة الأفـراد الـتي كانـت عليهـا في المـرحلتين السـابقتين، ولـو قـارن بـين هـذه المرحلـة وبـين المـرحلتين السـابقتين لوجـدناها تابـل مرحلـة هـرم التـاريخ، والـذي يعتـبره هيجـل رمـز للكمـال والنضـج والحكمـة والوحـدة وفي طابعهـا يكتمـل النمـو حيث يصبح فيها الكل أحرارا.

وفي هـذا العـالم الجرمـاني يتحقـق المضـمون التـاريخي لفكـرة الحريـة الروحيـة عـن طريـق المسـيحية لأنهـا تمثـل خلاصـة جـدل متواصـل بـين مملكـة الـروح وهـي الكنيسـة ومملكـة الـدنيا وهـي الدولـة، بحيـث أنهمـا ينسـجمان معـا في نهايـة الامـر في هـذا الـديالكتيك وطبقـا لصـيرورته فـإن التعـارض سـوف ينحـل بـين الاثنـين لتقـوم مملكـة الفكـر، فـالفكرة القائلـة بـأن الـوعي بالحريـة قـد تم بفضـل المسـيحية، فـذلك راجـع في رأي هيجل إلى أن التاريخ الألماني ينقسم هو الآخر إلى فترات جدلية ثلاث هي:

1. الأولى تمتـد مـن نهايـة المرحلـة الثانيـة مـن التـاريخ العـام إلى عصـر "شـارلمان" وهـي تمثـل في المنطق الجدلي (القضية).
2. الثانية من عصر شارلمان حتى عصر النهضة التي تمثل (نقيض القضية).
3. الثالثة تمتد من عصر النهضة إلى غاية العصر الحديث وتمثل (التركيب والنتيجة)

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، مرجع سابق، ص592.

[2] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص73.

وتمـايز هـذه الفـترات يشـبهه هيجـل بتمـايز الموجـودين الأب والابـن وروح القـدس في الـديان المسـيحية والـتي تحققت في النهاية في الدولة الألمانية[1].

الدولـة في هـذه المرحلـة في اعتقـاد هيجـل تمثـل تموضـع الـروح، فكـل نشـاط بشـري وكـل عمـل فكـري في هـذه المرحلـة يتحقـق عـن طريـق الدولـة وأنظمتهـا، وبالتـالي هنـا يكشـف عـن التنـاقض بـين قولنـا الدولـة تمثـل الحريـة في صـورتها الواقعيـة، وبـين القـول الشـائع أن الدولـة تحـد مـن حريـة الفـرد ثم تقيـدها، وهـذا القـول بـرأي هيجل ناجم عن تجريد الحرية من مضمونها وهدفها[2].

حيـث يقـول: "الحريـة ليسـت فطريـة ولمنهـا تكتسـب وتمـارس مـن خـلال مؤسسـات فكريـة وروحيـة وأخلاقيـة، تلـك الحريـة المشـار إليهـا ليسـت حريـة بـالمفهوم العقلـي وإنمـا حريـة تشـه حريـة الوحـوش، وحينمـا تقيـد الدولـة الفـرد إنمـا تقيـد غرائـزه الوحشـية"[3]، وهـذا التقييـد يعتـبر عنـد هيجـل مـن الوسـائل الـتي تحقـق الوحي بالحرية ذاته.

مـا يمكـن قولـه أن هيجـل لم ينشـا مـن الجرمـان أمـة تشـير حسـب مراحلهـا الثقفيـة الخاصـة بهـا ويؤكـد علـى أن حريـة الشـعوب الجرمانيـة قـد غمـرت بـاقي العـالم، السـبب الـذي جعلـه ينهـي التـاريخ في أوربا وبالضبط عند الجرمان.

[1] أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص209

[2] المرجع نفسه، ص212

[3] المرجع نفسه، ص213.

المبحث الثاني: الجدل وصيرورة التاريخ في ميزان النقد

إن نظريـة هيجـل الفلسـفية حـول الجـدل وصـيرورته في التـاريخ استخلصـت نتـائج تكـون الـروح في التـاريخ، إذ حاولـت هـذه الفلسـفة أن تسـتوعب جـدل التـاريخ البشـري وبعـد التصـورات الفلسـفية الهيجليـة حـول ماهيـة الجـدل وعلاقتـه بالتـاريخ وحركتـه، جعـل الكثـير مـن الفلاسـفة والنقـاد يختلفـون في تقـدير مذهب هيجل بصفة عامة والجدل وعلاقته بالتاريخ بصفة خاصة.

ولعـل هـذا كلـه مـا جعـل وليـان جـيمس يشـبه اخـتلافهم بـاختلاف المفسـرين في شـرحهم للكتـاب المقـدس[1]، وهـذا الاخـتلاف دليـل قـوي علـى حضـوية مـذهب هيجـل، لقـد أعلنـت الفلسـفة الهيجليـة عـن نفسـها في مطلـع القـرن 19 بوصـفها أكثـر الفلسـفات شمـولا وخصـبا، كونهـا اختزلـت الفلسـفات السـابقة لهـا إلى مجـرد عناصـر ومكونـات في نسـقها العـدم، وأدرجتهـا في وظيفتهـا بعـد أن أخضـعتها لصـيرورة التـاريخ والـوعي وصـاغت إطـار أدمجـت فيـه المفـاهيم في الجـدل، وبهـذا كانـت لهـا وجهـة نظـر في الوجـود مستخلصـة ذلـك مـن فـرض منطقـي فقـط، وهـذا مـا جعلهـا تتجـاوز الفلسـفات الأخـرى[2]، إن هـذا النسـق الفلسـفي كـان عبـارة عـن سـتار جـدلي بـين نقـاد هيجـل قـد جـرى عليـه فحـص واستقصـاء لمكوناتـه وطعـن فيـه، فعـد الجـدل في نظـرهم جنـون نظـري وضـربا مـن القـوانين الحديديـة، فـالنموذج الجـدلي الهيجلـي قـد نشـأ وفـق تعدد المفاهيم بقدر ما نشأ من توترات وتنافرات بينها.

كمـا نجـد مضـمون هـذا الموضـوع شـد انتبـاه كـارل مـاركس karl.marx (1818-1883) والـذي نقـد ذلـك مؤكـدا أن محتـوى الجـدل الهيجلـي هـو محـض عمليـة عقليـة فقـط، وليـس ثمـة تـاريخ حقيقـي للمضـمون الـذي يدعيـه لأن العـالم عنـده يبـني بـالفكر وليـس العكـس، إلى ذلـك فـإن جـدالات المنطـق، إنمـا هـي تفـاعلات عقليـة خالصـة مجـردة لم تنـزل منزلـة الواقـع الفعلـي[3]، والمعـروف عـن هيجـل أنـه يقـول: "موضوع الفكر لا يظهر في أخيلة وأشكال بل في التصورات"[4]

---

[1] نقلا عن: عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص139

[2] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991، ص143.

[3] كارل ماركس: بؤس الفلسفة، تر: محمد مستجير مصطفى، دار الفارابي، بيروت، ط2، 1981، ص102.

[4] هيجل: علم ظهور العقل، مصدر سابق، ص152.

ولكنه حكم على هذه التصورات باعتبار أن موضوع الفكر هو الواقع والتصورات العقلية، ولأن هيجل يبني نظاما كاملا ينبغي أن يعبر عن الحقيقة المطلقة، فإنه أدان نفسه لأنه بسط التصور كله للطبيعة والمجتمع وتاريخ العلوم والفلسفة، كما نجد روجي غاودي Garaudy.Roger (1913) يقول: "لقد كان ثمة تاريخ لكن لا يكون هناك تاريخ في المستقبل فالعالم يتوقف والنظام قائم على تقديس الفكرة المطلقة"[1]، ما نجده أن نقد غارودي ينتظم حول المصير الذي بلغت إليه الهيجلية، فالتناقض القائم بين منطقه ومضمون فلسفته، هو الذي حدد تلك الفلسفة التي عرضها على أنها فلسفة خالدة لجميع الفلسفات، فالجدل يقود إلى تأكيد لا يقبل اللبس، هو أن كل الضروريات التي تظهر للوجود تعمل على زواله فكل شيء في الطبيعة والفكر والتاريخ خاضع لنظام الولادة والموت، فموت القديم هو في الوقت نفسه ولادة الجديد.

أما مضمون فلسفته التاريخية فلا يعبر إلا عن شيء مكتمل هو المطلق من خلال دعواه أنه بلغ الحقيقة النهائية بعد اكتمال التاريخ ونهايته الذي يقوده إلى أن يضع لنفسه في آخر الأزمة شيئا خالدا، ويقترح روجي غارودي اقتراح مفاده: "إن الأسلوب الوحيد الممكن لتجاوز هيجل هو أن يضع المرئ نفسه في فكره الصاعد، وأن يتبع ديالكتيكيه الداخلي، وأن يرفض طاعة الأمر التعسفي بإيقاف التطور والتقدم عند اللحظة التي ادعى هيجل فيها توقف التاريخ ونهايته"[2]، وجاء اقتراح غارودي نتيجة مؤولي فلسفة هيجل والذين انقسموا إلى عدة فرق، منها فرقة أخذت مضمون فلسفته باعتبارها ايديولوجيا لتبرير الواقع، وخاصة أفكاره حول الدولة الشمولية التي يرى فيها هيجل أن الفرد يستطيع أن يحرز واقعيته وقيمته، وأخذ بهذا الاختيار اليمين الداعي إلى النزعة الجرمانية، أما ظهر فريق آخر اهتم بالنظام المنطقي عند هيجل الذي أخذ على عاقه اكتشاف التناقضات الموجودة ي جوهر العالم.

كما نجد الكثير من المعنيين بالفلسفة الهيجلية يعتبرونها على أنها احدى أعظم النماذج الفلسفية التي عملت على إخضاع الواقع للمفهوم، فهيجل في هذه النقطة يماثل رينيه ديكارت renè.descarte (1596-1650) وهو الذي انطلق من الأنا المفكر لإثبات الموضوع القائم

[1] روجيه غارودي: النظرية المادية في المعرفة، تر: إبراهيم قريط، دار دمشق، ص11.

[2] روجيه غارودي: فكر هيجل، مرجع سابق، ص253.

بوجوده خارج الأنا، وهو الآخر اعتبر من أعظم انجازات الفكر الغربي الحديث بحيث أنه اعترف هيجل بذلك*، والقول أن المفهوم هو الأصل وهيجل هنا يراهن أيضا على سلطة المفاهيم وجدالاتها وبذلك استخلص عالما لا علاقة له بعالمنا، العالم الهيجلي من صوغ المفاهيم[1].

زيادة على ما سبق يرد كروشه croce (**1866-1952**) أن كل فلسفة هيجل التاريخية هي خطأ فادح ومر ذلك إلى الخلط بين شيئين مختلفين كلا الاختلاف، وهما التناقض التميز إذ يرى أن المفاهيم المجردة ترتبط فيما بينها بعلاقة التناقض مثل قولنا حسن وسيء، صادق وكاذب[2]، أي أنه بينا هذه المفاهيم علاقة تناقض قائمة بينهما.

ضف إلى ذلك هناك أيضا فكرة أخرى تعرض فيها هيجل للنقد تتعلق بنظرية التاريخ، وهي النظرية القائلة بأن التاريخ لا ينتهي في المستقبل وإنما ينتهي في الحاضر والتي تنتهي إلى تمجيد الحاضر على أنه وضع مثالي، ومعنى هذا أن أي تقدم مستقبلي مستحيل، وإنكار لأي تقدم تحرره البشرية في المستقبل، ثم هي تبرر تبريرا فلسفيا زائفا، أي سياسة غير مستديرة تبقى على الأوضاع الحاضرة بلا تغيير[3]، ما نفهمه ان التاريخ في نظر هيجل لا بد أن ينتهي في الحاضر وهذا معناه الاعتراف بحقيقة واقعة واننا لا ندرك ماهية ما يصيب المستقبل من نجاح وأن المسألة كما يرى هيجل في أن المستقبل ليس مسألة معرفية بل مسألة آمال.

زيادة على ذلك نجد هيجل يقول: "إن تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب لأن أوربا في نهاية التاريخ على نحو مطلق كما آسيا هي بدايتها"[4]، في هذا القول يقسم هيجل التاريخ إلى ثلاثة مراحل كما سبقت الاشارة إليه وأن كل مرحلة تمثل مرحلة خاصة في مفهوم الحرية والوعي، وهكذا فإن هيجل هنا يتناقض مع منطقه الجدلي فهو بتبريره للدولة الجرمانية والدين المسيحي إنما يضع نهاية

* انظر إلى قول هيجل، جورج طرابيشي، معجم مصطلحات الفلاسفة، ص303

[1] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، مرجع سابق، ص148.

[2] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص386.

[3] المرجع نفسه، ص388.

[4] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص191.

للجـدل ونهايـة لزحـف حركـة التـاريخ، ويخضـع التـاريخ إلى المنطـق ممـا يضـفي علـى رؤيتـه للتـاريخ طابعـا استنباطيا لأن تصـوره للتـاريخ يقـوم علـى فكـرة التقـدم الـتي كانـت شـائعة في الفلسـفة العقلانيـة وهـي الفكـرة الـتي كانـت بمثابـة التعبـير الايـديولوجي عـن نهضـة الطبقـة البرجوازيـة ليـبرز صـعودها إلى السـلطة باعتبارهـا شـيئا كامنـا في عمليـة التـاريخ، فقـد كـان هيجـل صـوتا معـبرا عـن طموحـات وآمـال البرجوازيـة الـتي لم تكـن ثورية كما كانت البرجوازية الفرنسية في القرن 18 بل كانت برجوازية محافظة[1].

ونسـتنتج مـن قـانون الجـدل أنـه لا يمكـن أن نقسـم هـذا القـانون الثلاثـي وتعميمـه كليـة كمـا اعتقـد هيجـل فـلا يمكـن لهـذه المراحـل الثلاثـة أن تشـمل كـل أشـكال الحيـاة لـذا هنـاك موجـودات ثلاثيـة ورباعيـة وأحيانـا خماسـية فـأكثر، وهـذا مـا نستخلصـه مـن قـول بلخـانوف plekhanouf (1856-1918)* "لقد حان الوقت بأن نكف عن الاعتقاد بأن الشوق ينمو وفقا لهيجل"[2]

كمـا نجـد نظريـة هيجـل التاريخيـة تفتقـر إلى الحقيقـة الموضـوعية، سـواء في أحكامـه علـى الشـعوب أو في تصـوره لمسـار التـاريخ متجـاهلا حضـارات بأكملهـا أو مقلـلا مـن دورهـا لمجـرد أنهـا أفكـار بسـيطة فقـط كشـعوب إفريقيـا مـثلا، وهـي نظـرة بعيـدة عـن الموضـوعية وفي مقابـل ذلـك اعتبـاره لأوربـا محـور التـاريخ دون سـائر الـدول والأمـم الأخـرى، فتعاليـه هـذا علـى المـادة التاريخيـة قـد ينقص مـن قيمـة أحكامـه التاريخيـة والموضوعية وتضعف نتائجه منهجيا وفلسفيا[3].

ويـــرى كوجيـــف الكســـندر* kojeve.alexander (**1900-1968**) أن هيجـــل كـــان علـى رأس الفلاسـفة المحـدثين الـذين تخلـوا عـن الجـدل بوصـفه منهجـا فلسـفيا والسـبب في ذلـك أنـه

[1] حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص69

* كاتـب روسـي مؤسـس حركـة تحريـر العمـل 1883، وهـي أول جماعـة ماركسـية، كتـب عـدد كبـير مـن المقـالات في تنفيـذ الشـيوعية وفي عرض فلسفة ماركس (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص189)

[2] بلخيخانوف: في تطور النظرية الواحدية إلى التاريخ الترجمة إلى اللغة العربية، دار التقدم، موسكو، 1981، ص96.

[3] هيجل: العقل في التاريخ، مصدر سابق، ص 157-187.

* فيلسـوف فرنسـي يعتـبر مـن المهتمـين بهيجـل بحيـث نـه تـأول بحريـة لم تجـري عليهـا أي شـارح لهيجـل مـن قبـل علـى ضـوء مـا رتـب هايـدجر وكارل ماركس معا، وهو أول من أدخل الفكر الهيجلي إلى الثقافة الفرنسية (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص530)

اقتصرت ملاحظاته حول الجدل الذي تحقق على مر التاريخ دون أن يقيم جدل جديد يكون من اكتشافه هو، ومن هنا يعتبر كوجيف أن الديالكتيك الذي اصطنعه هيجل لم يكن دياليكتيكيا على الاطلاق والظاهر من هذا الحكم نستنتج أن كوجيف فهم الجدل بمعنى الحوار والمناقشة[1].

أما ماركس فيرى أن الجدل الهيجلي مقلوب على القاعدة، إذ لا يقف على قدميه بل يقف على قدميه وهذا بسبب نزعته المثالية، رافضا هذا الديالكتيك ليستبدله بجدل مادي ثوري، حيث يقول: "إن منهجي الجدلي لا يختلف عن المنهج الهيجلي من أساسه فحسب بل هو نقيضه التام... لأنني مادي على حين أن هيجل مثالي إن جدل هيجل هو الشكل الأساسي لكل جدل وإنما فقط بعد أن يتم تجريده من صورته الصوفية، وذلك هو بالضبط ما يميز منهجي... إن الجدل عنده يمشي على رأسه ويكفي أن نوقفه على قدميه حتى نجد له سماء معقولة تماما"[2]، ومن خلال كتابات هيجل التاريخية أيضا نجد أنه قسم تاريخ العالم إلى أربعة امبراطوريات أساسية هي: الامبراطورية الشرقية واليونانية والرومانية وأخيرا الجرمانية، ومن قراءتنا لهذه المراحل والأسلوب الذي ندرج عليه في كتاباته نجد أنه قسم كل موضوع إلى ثلاثة أقسام يتطابق في ذلك ثلاثية جدلية ليتضح في النهاية أن هذا التقسيم يتعارض في صميمه مع هذه الرباعية، لأن الجدل بهذا التقسيم لا يمكن أن يحيط بهذه الرباعية التاريخية[3]

إن كل ما نستخلص من تتبعنا لمسار التاريخ العالمي هو ظان التاريخ منذ أن بدأ إلى أن ينتهي مع الإنسان الأخير، نهاية بضيقتها غاية وليس كحدث باعث للامعقول، وما نستنج أيضا أن فكرة نهاية التاريخ مبنية على أسس أسطورية لأنها من منظور فلسفة التاريخ هي تغييب العقل والوعي، وهنا يمكن القول أن فكرة نهاية التاريخ مؤسسة على اعتقاد غربي هي نهاية الآخر.

ومهما تعددت الانتقادات لفلسفة هيجل إلا أننا نقول أنه استطاع أن يقدم لنا نظرية فلسفية جديدة، تقوم على تعميق الفكرة الواحدة من الكشف على ما تنطوي عليه من صميمها من تناقض

---

[1] أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص217.

[2] كارل ماركس: فريديريك انجلز –الايديولوجية الألمانية–، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، ص12

[3] رج كولنجورد: فكرة التاريخ، ج2، تر: محمد بكير خليل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961، ص121

والعمـل علـى تجاوزهـا والارتقـاء بهـا إلى فكـرة أخـرى جديـدة، وإذا كـان هيجـل قـد جعـل مفهـوم الكـل مفهومـا أساسـيا مـن مفـاهيم الجـدل فهـذا يعـني في النهايـة إدمـاج سـائر الأشـياء في الوحـدة فلـيس غريـب أن يجعـل مـن الجـدل قانونـا عامـا يصـدق علـى الحركـة الطبيعيـة والتـاريخ والفكـر. وهكـذا نخلـص إلى القـول أن الجدل منطلق علاقة وهذا ما جعل الكثيرون يثنون عليه بالتقدير والإعجاب.

فـنحن عنـدما نفهـم الجـدل الهيجلـي فهمـا جيـدا فإننـا نفهـم في الصـبغة الثوريـة الـتي تظهـر في أنـه وضـع حـد قـاطع لجميـع الأنشـطة البشـرية ولجميـع نتـائج الفكـر فهـو يبـين لنـا تهافـت جميـع الأشـياء وفي جميـع الحـالات وهـذا مـا جعـل آلان alain (1868-1951) يقـول فيـه: "يمكـن لهيجـل أن يسـبب مبدأ أرسطو لأن أرسطو الأزمنة الحديثة وأعمق المفكرين وأثقلهم في المصادر الأوربية"[1].

ويعتـبر انجلـز enges (1830-1895) الجـدل الهيجلـي أنـه عمـل لم يضـطلع بـه أحـد منـذ أرسـطو سـوى هيجـل وعلـى أنـه أعظـم مـا أنجزتـه الفلسـفة الكلاسـيكية الألمانيـة، كمـا نجـد بـرودون يقـر بمنطـق هيجـل حيـث يقـر: "إن منطـق هيجـل كمـا أفهمـه يرضـي عقلـي أكثـر بمـا لا يقـاس مـن كـل الحكـم والأقـوال المـأثورة الـتي حسـبناها منـذ أظافرنـا"[2]، ويقـول في هـذا الشـأن أيضـا هـو وليـام وولـش: "لقـد فسـر هيجـل سـير التـاريخ كتقـدم ديـاليكتيكي ولفهـم الـديالكتيك علينـا الرجـوع إلى أكثـر الأمـور الفلسـفية تجريـدا وهـي المنطـق"[3]، مـا يبـين لنـا هنـا اهميـة الجـدل وكيفيـة حركتـه في التـاريخ إذ بفضـله يمكـن لنـا معرفـة تقـدم وسـير حركة التاريخ من خلاله.

كمـا نجـد مـاركس يصـوغ أعظـم تقـدير لهيجـل وهـذا مـن خـلال مقولتـه الشـهيرة "حـين كنـت أكتـب الجـزء الأول مـن رأس المـال كـان أبنـاء الجيـل الجديـد حـول الأدعيـاء المتهـورون التـافهون يتبـاهون بـأنهم بـأنهم ينظـرون إلى هيجـل نظـرتهم إلى كلـب مـين لـذا بـادرت وأعلنـت صـراحة أني لسـت إلا تلميـذا لهـذا المفكـر العمـلاق"[4]، ورغـم كـل هـذه التناقضـات والأخطـاء الـتي وقـع فيهـا هيجـل إلا أننـا نقـول في

---

[1] نقلا عن: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص724.

[2] نقلا عن: إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص218

[3] و.هـ وولش: مدخل لفلسفة التاريخ، تر: أحمد حميدي محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962، ص188

[4] كارل ماركس: رأس المال، ج1، تر: راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947، ص16

النهايـة ان الجـدل مـنهج هـو موضـوعي لأنـه يعـبر عـن نشـاط العقـل الموضـوعي، إذ أنـه يضـعه الباحـث لنفسـه، كمـا يتمثـل في حركـة المقـولات وتسلسـلها، وكمـا كانـت المقـولات إلى جانـب أنهـا الماهيـة الأساسـية للعقـل الموضـوعي تعـبر عـن هيكـل الوجـود، فـإن حركتهـا في نفسـها هـي حركـة الأشـياء في صـور عقليـة خاصـة وهـذا يعـني ان الجـدل هـو عبـارة عـن منطـق جديـد هـو منطـق الحركـة والتغيـير والتطـور، في مقابـل المنطـق التقليـدي الـذي كـان يعـبر عـن الاسـتقرار والثبـات بهـذه الطريقـة نفهـم معـنى التطـور التـاريخي وارتفاعـه إلى أفضـل الصـور وتدشـينه لمسـار تـاريخ جديـد للإنسـانية هـذا الجديـد لم يولـد مـن عـدم لمنـه لـيس مرسـوما بحـروف صـخرية في القـديم، فهـو إمكانيـة واحتمـال مـرتبط بالقـدرة الابداعيـة الانسـانية ومـا نجـدهن فالجدل قانون عام للوجود يتمتع بالاستمرارية نحو الأمام.

خـــاتمـــة

خاتمة:

ومـا يمكـن أن نختـتم بـه دراسـتنا حـول الجـدل وحركـة التـاريخ في جملـة مـن النتـائج والـتي جـاءت كمـا يلي:

نجـد هيجـل علـى الـرغم مـن تـأثره بـاللاهوت والفلسـفة سـواء اليونانيـة أو الحديثـة وبتيـار عصـره إلا أنه قدم لنا جدل خاص به ونتيجة إبداعه الخاص.

يقـوم الجـدل عنـد هيجـل علـى فكـرة التطـور والحركـة ةهـي الفكـرة الـتي نجـد لهـا امتـدادات في الفلسـفة المعاصـرة فعنـد دراسـتنا لشـيء مـن الأشـياء لا بـد مـن دراسـته في الوقـت الـراهن وفي الماضـي لأنـه لا يوجد شيء ثابت أو جامد وإنما نجد الكون كله في حركة وتطور.

الجـدل عنـد هيجـل هـو قـانون تطـور الوجـود وحركـة الفكـر في آن واحـد فهيجـل عنـدما اكتشـف ضـرورة التنـاقض والصـيرورة والتجـاوز المسـتمر فهـو لم يكتشـف قانونـا فكريـا محـض، بـل كـف لنـا عـن قـانون واقعـي، كمـا نجـد أن هيجـل قـد جـاء بالجديـد وهـو إحالـة الجـدل مـن صـورته السـلبية إلى الصـورة الإيجابيـة فالغاية الأساسية التي يقوم عليها الجدل هي الرقي فالأفكار لا يمكن أن تطور إلا في ظل الجدل.

يتبـين لنـا أيضـا أن الجـدل الهيجلـي وعلـى الـرغم مـن أنـه يتميـز بالصـرامة المنطقيـة إلا أنـه يحـاول أن يـبرز لنـا نشـاط الفكـر وحيويتـه عنـدما ينتقـل مـن فكـرة إلى فكـرة أخـرى معارضـة للفكـرة الأولى، محـاولا التوفيـق بينهمـا عـن طريـق حـذف الجوانـب الـتي يشـوبها الزيـف في كـل مـن الفكـرتين، أي أن الجـدل يريـد إبـراز بطريقـة عقليـة خالصـة وجـود اتجاهـات متعارضـة في عمليـة التفكـير وأن التطـور العقلـي غالبـا مـا يسـير علـى هـذا الـنهج، وبهـذا يعـود الجـدل دائمـا إلى الأسـئلة والأجوبـة بالعقـل أو الفكـرة والـذي لا يكـون لـه معنى بدونه.

زيـادة علـى ذلـك منطـق الجـدل قـائم علـى التنـاقض وفيـه يحتـوي معـنى الكمـال، أمـا التـاريخ فهـو حركـة تقدميـة وهـي سـائرة نحـو الكمـال وهـو لـيس اختـلاط وفوضـى معدومـة مـن كـل مفهـوم أو معـنى فكـل حدث مهما كان صغير أو كبير مكانه وأن كل شيء حدث أو سيحدث إنما لغاية وغرض.

كمـا يـذكرنا لنـا هيجـل ثلاثـة أنـواع لكتابـة التـاريخ وهـي التـاريخ الأصـلي والـذي يقـوم علـى أسـاس المعايشـة المباشـرة للفكـرة الفلسـفية في أصـلها والتـاريخ النظـري، ويقـوم علـى إعـادة الفكـرة السـابقة أي

يـروي أحـداث لم يشـهدها وبـدوره يتفـرع إلى أربعـة أنـواع، أمـا التـاريخ الفلسـفي وهـو يعـني بدراسـة التـاريخ من خلال الفكر كما أن للتاريخ عوامل محركة له إلا أنها تعتبر مجرد أدوات مساعدة فقط.

كـذلك عنـدما يتحـدث هيجـل عـن العقـل فهـو في الوقـت نفسـه يتحـدث عـن الـروح فـالروح هـي العقـل والعقـل هـو الـروح وماهيـة العقـل هـي الحريـة، فعنـدما يوجـد العقـل تكـون هنـاك صـيرورة وعنـدما توجـد معـه الحريـة –أي العقـل– يجـد نفسـه ينتقـل في صـيرورة، فالعوامـل الخارجيـة المحيطـة مـا هـي إلا وسائط لنمو الروح.

كمـا يعتـبر جـوهر الـروح هـو الـوعي الـذاتي أي وعـي العـالم الخـارجي مـن خـلال وعـي الـذات، فلـيس تـاريخ العـالم سـوى عـرض بمسـلم الـروح في أعلـى صـورها وهـو صـراع أيضـا مـن جانـب الـروح مـن أجل الوصول من أجل الوصول لمرحلة الوعي.

كمـا أن عمـل الجـدل في التـاريخ هـو المعرفـة المطلقـة الـذي يعـبر عـن ذاتـه بـل هـي كـذلك معرفـة يستطيع الروح المتناهي عن طريق نفسها أن يتسامى بنفسه إلى مستوى الوعي الذاتي الكلي.

كـذلك يقسـم هيجـل التـاريخ –أيـن تتعـين الـروح وتتجسـد–إلى ثلاثـة مراحـل وهـي المرحلـة الأولى تمثلهـا الحضـارات الشـرقية القديمـة والمرحلـة الثانيـة تمثلهـا الحضـارة اليونانيـة والرومانيـة والمرحلـة الثالثـة تمثلهـا الأمة الجرمانية وهي أرقى الأجناس.

مـا نجـده أن فلسـفة هيجـل حاولـت أن تسـتوعب جـدل التـاريخ البشـري في عصـر انتشـرت أفكـار وفلسـفات تـرى أن العقـل البشـري عـاجز عـن فهـم التـاريخ لـذلك كانـت مهنتهـا الوقـوف ضـد هـذه الأفكـار السـلبية وضـد المـزاعم اللاعقليـة، وأن تعيـد النظـر بصـورة انتقائيـة عميقـة، وهـذا أهـم انجـاز حققـه هيجل من خلال فلسفته عن طريق تطبيق الأسلوب الجدلي فيما يتعلق بحركة التاريخ.

فالجـدل يبقـى لـه صـبغة ثوريـة تقدميـة والـتي تظهـر في النشـاطات الماديـة والفكريـة والاجتماعيـة، وهذا ما يثبت عظمة هيجل الخالدة.

ومـا نجـده أن فلسـفة هيجـل بصـفة عامـة هـي فلسـفة عميقـة وخـير دليـل علـى العديـد مـن الانقسـامات في صـفوفهم الأمـر الـذي جعـل فلسـفته في توسـع ولـذلك فـإن محـاولتي تبقـى مجهـود ضـئيل يضاف إلى البحوث المنجزة حول هذا الفيلسوف.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ/ قائمة المصادر

1. هيجل: أصول فلسفة الحق، تر: امام عبد الفتاح امام، م1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996.
2. هيجل: تاريخ الفلسفة، مج3، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مديولي، القاهرة، 1998.
3. هيجل: حياة يسوع، تر: جرجي يعقوب، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
4. هيجل: في الفرق بين نسق فيشته ونسق شيلنغ في الفلسفة، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.
5. هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986.
6. هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986.
7. هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ العالم الشرقي، مج2، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
8. هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط1، 1983
9. هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مج1، تر: إمام عبد الفتاح إمام،، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2007.
10. هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، مج2، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مديولي، القاهرة، 1981.

ب/ قائمة المراجع:

1. أحمد بن نعيمي: فلسفة التاريخ عند هيجل، كلمة للنشر والتوزيع، لبنان، 2015
2. أفلاطون: الجمهورية، تق: جيلالي اليابس، سلسلة الأنيس، موفم للنشر، 1990

3. أفلاطون: تيتاتوس أو عن العلم، تر: أميرة حلمي مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

4. إلياد مرسيا: رمزية الطقس والأسطورة، تر: نهاد قياضة، دار العربي، سوريا، ط3.

5. إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2007.

6. امام عبد الفتاح امام: المنهج الجدلي عند هيجل، دار المعارف، مصر، 1969.

7. إمام عبد الفتاح إمام: دراسات في الفلسفة الهيجلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، 1984.

8. أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.

9. اندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، مج 2، تع: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2008م.

10. إيمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1965.

11. إيمانويل كانط: نقد العقل المحض، تر: موسى وهبة، مركز الانماء القومي.

12. برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار المصرية العامة للكتاب، 1977

13. بلخيخانوف: في تطور النظرية الواحدية إلى التاريخ الترجمة إلى اللغة العربية، دار التقدم، موسكو، 1981

14. توماس كاريل: في الأبطال وعبادة الأبطال، تر: تسير شيم، دمشق، 1970م،

15. جان هيولت: مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل، تر: أنطوان حمص، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1971.

16. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006

17. جورج طرابيشي، معجم مصطلحات الفلاسفة

18. حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1990

19. حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991

20. حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1939

21. حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.

22. رج كولنجورد: فكرة التاريخ، ج2، تر: محمد بكير خليل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961.

23. رنيو كاريس كيسديس: جذور المادية الديالكتية -هيراقليطس-، تر: حاتم سلمان، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1987.

24. روجيه غارودي: النظرية المادية في المعرفة، تر: إبراهيم قريط، دار دمشق.

25. روجيه غارودي: فكر هيجل، تر: إلياس مرفص، دار الحقيقة، بيروت، 1983.

26. ريمون روية: نقد المجتمع المعاصر، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 1978.

27. رينيه سرو: هيجل والهيجلية، تر: أدونس عكره، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1993

28. زكريا ابراهيم: هيجل أو المثالية المطلقة، مكتبة مصر، القاهرة.

29. السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي، لبنان، ط1.

30. سيدني هوك: البطل في التاريخ، تر: مروان الجابري، دار المعارف، بيروت.

31. عبد السلام عبد العالي: الميتافيزيقا العلم والايديولوجيا، دار الطليعة ، بيروت، ط2، 1981.

32. عبد الفتاح الديدي: نوابغ الفكر الغربي هيجل، دار المعارف، مصر، 1968.

33. عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، المركزية الغربية إشكالية السكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997.

34. عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، دار السلابيل، الكويت، 1993.

35. فرنسيس فوكو ياما: نهاية التاريخ والرجل الأخير، تر: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشابي، مركز الانماء القومي، بيروت، 1992.

36. قادة جليد: العلية في التاريخ بين ابن خلدون وهيجل، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات السياسية والفكر، الجزائر، ط1، 2013.

37. كارل ماركس: بؤس الفلسفة، تر: محمد مستجير مصطفى، دار الفارابي، بيروت، ط2، 1981.

38. كارل ماركس: رأس المال، ج1، تر: راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947

39. كارل ماركس: فريديريك انجلز –الايديولوجية الألمانية–، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق

40. كولنجوود: فكرة التاريخ، ج3، تر: محمد بكير خليل، لجنة التأليف للترجمة والنشر، 1961

41. مارتن هيدجر: مبدأ العلة، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1991، ص 85.

42. محمد رجب: أرسطو عبقري الفكر اليوناني، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة

43. محمد عثمان الخشت: الأديان تأويل نقدي لفلسفة الدين عند هيجل، دار غريب، القاهرة، 1995.

44. محمد وفيدي: معقولية التاريخ ومعقولية التأريخ، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990

45. محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988

46. محمود عبد القادر: الفكر الإسلامي والفلسفة المعارضة، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، 1986.

47. المطران أنطوان حميد موراني: هيجل كتابات الشباب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.

48. ميخائيل أنووورد: معجم مصطلحات هيجل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002.

49. هـ وولش: مدخل لفلسفة التاريخ، تر: أحمد حميدي محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962.

50. هربرت ماركيوز: العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979.

51. هنري لوفيقر: المنطق الجدلي، تر: ابراهيم فتحي، دار الفكر المعاصر، ط1، 1978.

52. هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ العالم الشرقي، مج2، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.

53. ولتر ستيس: فلسفة هيجل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة، القاهرة، 1980.

54. ولتر ستيس: مدخل لفلسفة التاريخ، تر: أحمد حمدي محمود، مؤسسة متجر العرب، القاهرة، 1962.

55. ولتر ستيس: هيجل، مج1، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007.

56. وول ديورانت: قصة الحضارة، تر: محمد بدران، مج1، ج4، أحبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966.

57. يوسف حامد الشين: مبادئ فلسفة هيجل دراسة تحليلية عن الإنسانية واللاهوتية في كتابات الشباب، منشورات جامعة قار، بنغازي، ط1، 1994.

58. يوسف حامد الشين: مبادئ فلسفة هيجل دراسة تحليلية عن الإنسانية واللاهوتية في كتابات الشباب.

59. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5

الفهارس

الفهرس	الصفحة
شكر وعرفان	/
إهداء	/
مقدمة	أ
الفصل الأول : الجدل عند هيجل	**08**
تمهيد	**09**
المبحث الأول: أصول الجدل عند هيجل	**10**
أولا: اللاهوت	**10**
المبحث الثاني: طبيعة المنهج الجدلي عند هيجل	**28**
المبحث الثالث : علاقة الجدل بالمنطق عند هيجل	**36**
الفصل الثاني : صيرورة التاريخ عند هيجل	**45**
تمهيد	**46**
المبحث الأول: مفهوم التاريخ وأنواعه عند هيجل	**47**
المبحث الثاني: العوامل المحركة للتاريخ	**58**
أولا : الأفراد ودورها في التاريخ عند هيجل	**58**
ثانيا: النظرية الحتمية الاجتماعية في البطولة	**61**
المبحث الثالث: دور العقل والحرية والروح في التاريخ	**67**
الفصل الثالث : حركة الجدل في التاريخ	**81**
تمهيد	**82**
المبحث الأول: الجدل ومراحل التاريخ من البداية إلى النهاية	**83**
المبحث الثاني: الجدل وصيرورة التاريخ في ميزان النقد	**106**
الخاتمة	**113**
قائمة المصادر والمراجع	**116**
الفهرس	**124**